المجلد الخامس عشر ١٧٨ و ١٧٧ الجزء ٩ و ١٠

مجلة المجمع العلمي العربي

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تنشر في دمشق مرة في الشهر

ايلول وتشرين الأول سنة ١٩٣٧ م

جمادى الثانية ورجب سنة ١٣٥٦ هـ

دمشق

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية ولبنان ١٥٠ قرشاً سورياً
الدفع مقدماً { وفي جميع الاقطار ٤٠ فرنكاً

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

من السنة الاولى الى السادسة	ثمن كل سنة منها	في الداخل	٢٥٠
« السابعة الى الثانية عشرة	«	«	٢٠٠
« الاولى الى السادسة	«	في الخارج	٤٠٠
« السابعة الى الثالثة عشرة	«	«	٣٢٥

مطبعة ابن زيدون * بدمشق


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

كتاب الورقة

تأليف محمد بن داود بن الجراح [1]

الكاتب المتوفى سنة ٢٩٦ للهجرة

صاحب الورقة .— محمد بن داود بن الجراح ويكنى أبا عبد الله من أسرة أدب وسياسة ، فقد كان والده داود بن الجراح يكتب للمستعين وله من الكتب : كتاب التاريخ وأخبار الزمان وكتاب الرسائل ، وكان ابن أخيه علي بن عيسى بن داود على ما يذكره [2] ابن النديم بمنزلة من الرياسة يجل وصفها ، ومن الصناعة والفقه بما هو أشهر وأظهر ، ووزر للمقتدر ثلث دفعات .

أما محمد بن داود فقد وزر لعبد الله بن المعتز في يوم خلافته ، وكان عالماً قد لقي الناس ، وأخذ عن العلماء والفصحاء والشعراء ، واتسع اطلاعه على أيام الناس وأخبارهم ودول الملوك وله في ذلك مصنفات ، وكتب بخطه ما لا يحصى كثرة ، وجميع ما يقع بخطه قد قرأه وأصلحه .

مصرعه .— قال ابن النديم : وظهر بعد فتنة ابن المعتز إلى مؤنس الخادم

(١) انظر ترجمته في فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي طبع مصر ٢ : ٢٠٢ ، والفهرست لابن النديم طبع لايبسيغ ص ١٢٨ وطبع الرحمانية بمصر ص ١٨٥ ، والكامل لابن الاثير ج ٨ ص ٣و٥و٦و٧ في سنة ٢٩٦ هجرية .

(٢) الفهرست طبع لا يبسيغ ص ١٢٨ ، طبع مصر ص ١٨٥

وكان له قدم في أمره ، وخافه أبو الحسن بن الفرات فأشار بقتله فقتل ؛ وقال أبو عمرو محمد بن يوسف القاضي (١) : لما جرت واقعة ابن المعتز حبست أنا وابن المثنى ومحمد بن داود الجراح ، فكنا في دار في ثلاثة بيوت متلاصقات وبيني في الوسط ، واذا أجننا الليل تحدثنا من وراء الجدار وأفضى بعضنا الى بعض ، فلما كان في بعض الليالي دخل اناس بشموع الى بيت محمد بن داود وأخرجوه وأضجعوه للذبح ، فقال يا قوم ذبحا كالشاة ، أين المصادرات ، أين أنتم من الأموال ، أنا أفدي نفسي بكذا وكذا ، فلم يسمعوا منه وذبحوه وأخذوا رأسه وألقوه في البئر ، ثم أخرجوا ابن المثنى بعد ما ذهبوا وعادوا ، وقالوا : يا عدو الله يقول لك أمير المؤمنين : بم استحللت نكث بيعتي ؟ فقال لعلمي أنه لا يصلح ، فذبحوه وأخذوا رأسه ، وألقوا جثته في البئر ، ومضوا وعادوا وأخرجوني وقالوا : يقول لك أمير المؤمنين : يا فاعل ، ما الذي حملك على نكث بيعتي ؟ قلت : لشقاوتي وقد أخطأت وأنا تائب الى الله تعالى ، فحملوني الى دار الخلافة ، وابن الفرات جالس ، فوبخني فتنصلت واعتذرت ، فقالوا : وهب لك أمير المؤمنين ذنبك ، واشتريت دمك وجرمك بمائة ألف دينار ، فقلت : والله ما رأيت بعضها مجتمعاً قط ، فغمزني الوزير فأديت البعض وسومحت بالباقي ، وكانت وفاة ابن الجراح سنة ست وتسعين ومائتين للهجرة

شعره — ولابن الجراح شعر يدل على صحة طبع وتشاؤم نفس ، ولم نظفر من شعره القليل بما يكفي للحكم الصادق عليه فمنه قوله :

قد ذهب الناس فلا ناسُ وصار بعد الطمع اليأسُ
وساس أمرَ القوم أدناهم وصار تحت الذنب الراس

وقوله :

أعين أخي او صاحبي في مصابه أقوم له يوم الحفاظ وأقعدُ
ومن يفرد الأقوام فيما ينوبهم تبته الليالي مرةً وهو مفرد

كتاب الورقة — وللمترجم مصنفات ممتعة جمة منها كتاب الشعر والشعراء

(١) وفاة الوفيات ٢ : ٢٠٢

لطيف ، وكتاب من سمي عمراً في الجاهلية والاسلام ، وكتاب الوزراء ، ولم نعثر منها على غير كتاب الورقة ، قال الكتبي في فواته : « سماه بذلك لأنه في أخبار الشعراء ، ولا يزيد في خبر الشاعر الواحد على ورقة ، ولهذا سمي الصولي كتابه في أخبار الوزراء بالأوراق لانه أطال في أخبار كل واحد بأوراق » .

إن التسمية بالورقة أو الاوراق وتخصيصها بنوع خاص من التأليف يدل على مبلغ التفنن في التصنيف في العصر العباسي ، والحضارة اذا استبحرت في أمة كثر فيها التفنن واختراع ما لم يكن معهوداً من قبل ، وهذه التسمية بالورقة يذكرنا بلفظة الوريقة Feuilleton في اللغة الفرنسية ، وهي تطلق على مقالة في الادب أو العلم أو النقد أو على رواية تظهر تباعاً في احدى الجرائد وتنشر ابداً في موضع خاص بها ، وأكثر ما يكون ذلك في اسفل الصفحة من الجريدة .

ولقد أصبح كتاب الورقة لندرته في حكم المفقود ، وبلغنا أنه لا توجد منه نسخة قديمة الا في دار الكتب في طهران ، ثم علمنا أن لدى صديقنا السيد أحمد الصافي النجفي نسخة مخطوطة من كتاب الورقة ، فبادرت الى زيارته مع صديقنا السيد عبد العزيز الميمني ، فألفيناها بخط جميل على ورق صقيل ، وتشتمل على ترجمة خمسة وستين شاعراً منهم خمسة وعشرون ورد ذكرهم في الاغاني والوفيات وأمثالها من كتب التراجم ، والباقون اربعون شاعراً ليس لهم على أغلب الظن ذكر في هذه المظان .

وقد رأينا أن ننشر ترجمة الأصمعي من كتاب الورقة لتكون مثالا لسائر تراجمه ، وفيها من شعر الأصمعي ما لم نظفر به في المخطوطات والمطبوعات التي عرفناها ، وهذه الترجمة ، كما يرى القارئ ، في نحو ورقة أي صحيفة ذات صفحتين ، وهو السبب الذي من أجله سمى ابن الجراح مؤلفه اللطيف بكتاب الورقة كما نقله الكتبي في فواته الينا :

الاصمعي

عبد الملك بن قريب الباهلي ، ويكنى أبا سعيد البصري ، راوية للشعر والغريب ، موثوق به في الحديث ، روى عنه يحيى بن معين فأكثر ، وصحب الرشيد وأعطاه مالا جزيلا وخص به ، وله أشعار جياد وأراجيز ، ومن قوله في إسحق بن إبراهيم الموصلي :

إذا تغنّيت للشّرب الكرام ألا ... حثّ الخليط جمال الحيّ فانطلقوا
وقيل: أحسنت فاستدعاك ذاك الى ... «ياقلب ويحك لا يذهب بك الحزن»
وقيل أنت حسان الناس كلهم ... وابن الحسان فقد برّوا وقد صدقوا
فما بهذا تقوم النادبات ولا ... تبكي عليك اذا ماضمك الحزُن[1]

وكان الشعر سهلا عليه لو لا على لسانه[2] ، وفيه يقول عبد الصمد بن المعذل :

لن تلبسوا منطقي بمشكله ... الا عن الاصمعيّ أو خلفِ

يريد خلف الاحمر ؛ قال أحمد بن القاسم بن يوسف الكاتب عن عمه علي بن يوسف بن العباس عن الأحنف أنه أنشد الرشيد أبياته التي يقول فيها :

إذا ما شئت ان تبصر ... شيئًا يعجب الناسا
فصوّر ههنا فوزاً ... وصوّر ثَمّ عباسا
وقس بينهما شبراً ... وإن زاد فلا باسا
فان لم يدنوا حتى ... ترى رأسيهما راسا
فكذّبها وكذّبه ... بما قاست وما قاسي

قال فاستحسنها الرشيد وقال : هل سبقك إلى هذا المعنى أحد ؟ فقال : عليّ بالاصمعي وسأله : هل تعرف شيئًا منه ؟ قال : كثير ، ولكن حاقن

---

(١) لغة في الحزن بسكون النون وفتح الحاء او جمع حزَنة ، أو تكون (الحزن) جمع حَزن

(٢) كذا ، ولعل الاصل لولا ثقل على لسانه او حبسة

واعجلني الرسول عن البول ، فخرج ثم رجع وقد صنع أبياتاً مثلها على الراء وعلى القاف ، قال فيها :

يعجب الحلقا ، يعجب البشرا ، وأتمها على هذا ، وزعم انه سمعها مذ دهر فخجلت وانصرفت محزوناً ، فقلت له لما خرجت : سألتك بالله ، الست انت صنعتها ؟ قال : بلى ، وانت أيضاً فعادِ الرجال ! وكتب الي الكراني أنشدني عبد الرحمن ابن اخي الاصمعي لعمه أرجوزة طريفة اولها :

يارُبَّ خود من بنات الاحرارْ من آل كسرى في ذرى الزند الوارْ
يستن في مفرقها مسك الفارْ كأنها من جسد في الاعطار
وزعفران شرقٍ بالابصار عدا على لباتها عرق ضار
يموت فيها فيشر كالطومار مستغنياً عن عمرات العطار

وهي نيف وخمسون بيتاً ، قال ابو هفان : ليس في وصف وقعِ شيْءٌ على شيْءٌ احسن من قول الاصمعي :

كأنما وقع أقلام الرجال بها حسن الطراف بوقع المسبل الساري

وهذا يقوله في قصيدته التي يرثي بها سفيان بن عيينة أنشدنيها ابن فهم عن الاصمعي ، ومن قول الاصمعي في الحية :

أرقش أن أسبط أو تثنى حسبتَ ورساً خالط اليُرَنّا[1]
خالطه من ههنا وهنّا اذا تراآه الحداةُ أستنا

التنوخي

(١) اليُرَنّاء والَيرنأ واليرنّاء : الحناء ، وقيل : إذا قلت الَيرَنأُ بفتح الياء همزت لاغير ، وإذا ضممتَ جاز الهمز وتركه .

عدي بن الرقاع العاملي
٢

شعره

عاصر عدي بن الرقاع سبعة خلفاء من بني أمية وكان مقدماً عندهم لان مذهبه السياسي أموي ولا عمل له غير الشعر وقد حدث في زمانهم من الاحداث ما يبعث الشعر في نفس عدي فمن المفروض ان يكون قال كثيراً من الشعر وقد ذكر له ابن النديم في كتاب الفهرست ديواناً . ولكن الزمان لم يبق من شعره إلا مقداراً يسيراً مشتتاً في كتب اللغة والادب والتاريخ وتقويم البلدان من ذلك أبيات قالها في الوقعة التي ظفر بها عبد الملك بن مروان وانتهت بقتل مصعب بن الزبير وقصيدتان مدح بهما الوليد بن عبد الملك سبقت الاشارة اليهما وابيات مدح بها عمر بن الوليد ومقطوعات في معاني مختلفة كالوصف والغزل والادب والفخر والمدح والهجاء والتهنئة وكلها لا تبلغ ثلاثمائة بيت وهو مقدار يسير لا يعطينا عن الشاعر صورة تامة واضحة ولكنا نحاول ان ندرس هذه البقية من شعره إلى أن يجود الزمان بشيء مما ضن به علينا

* * *

عدي ابن الرقاع شاعر إسلامي والشعراء الإسلاميون عامة كالفرزدق

وجرير والأخطل وكثير وجميل والراعي ونصيب والقطامي ، وعدي واحد منهم أعذب لغةً وأحسن ديباجةً وأكثر طلاوةً من شعراء الجاهلية وذلك لتأثرهم بلغة القرآن وحسن انسجامه وسمو أسلوبه دع ما انفسح أمامهم من ميادين الحياة الإسلامية في مثلها العليا من دين وملك لم يكونا في أيام الجاهلية .

وربما كان عدي من أكثر هؤلاء الشعراء انسجاماً وتثقيفاً لشعره وتهذيباً لقوافيه وهو الذي يخبرنا كيف كان يحبر قصائده ويصقلها ويعود عليها بالتهذيب إذ يقول :

وقصيدة قد بتُّ أجمع بينها حتى أقوِّم ميلها وسنادها
نظر المثقف في كعوب قناته حتى يقيم ثقافه منآدها

وهو في فنه صائغ ماهر لا يكره الشعر إكراهاً ولا يقتسر القوافي غصباً ولقد أتيح له من بارع الابيات في انسجامها ما ذهب مثلاً كقوله :

صلى الإله على امرئٍ ودعته وأتمّ نعمته عليه وزادها

فلقد صار عجز هذا البيت رسماً من رسوم الكتاب في رسائلهم . قال أبو هلال العسكري في ديوان المعاني في فصل دعاء المكاتبة : (فأما قولهم وأتم نعمته عليه وزاد في إحسانه اليه) فهو من قول عدي بن الرقاع:
صلى الإله ..... الخ

وكقوله :

فلو قبل مبكاها بكيت صبابةً بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا بكاها فقلت الفضل للمتقدم
وكم تمثل الناس بهذين البيتين

***

قالوا إن عدياً من حاضرة الشعراء لا من باديتهم وانه كان أثيراً مقدماً عند بني أمية ومعنى ذلك أنه من دعاة سياستهم لا من الشعراء الذين يبيعون الشعر

بيعاً . فهل لذلك اثر في شعره ؟ نعم ان اطراد شعره وتساوق أبياته وتلاحمها وتهذيب قوافيه وحسن صياغته وما في تشبيهاته من معان حضرية وفي قصائده من ماء وظل ونعيم كقوله:

فقد أبيت أراعي الخود راقدةً على الوسائد مسروراً بها ولعا

وقوله :

وما شجاني أنني كنت نائماً أعلل من برد الكرى بالتنسم
الى أن بكت ورقاء فيغصن أيكة تردد مبكاها بحسن الترنم

أثر من آثار نعيم العيش ورفاهته فان شعراء البادية يتوسدون في باديتهم أعضاد المطايا وعدي يراعي الخود على الوسائد ويعلل في ظلال الأيك بدمشق بنوم هنيء تترنم من فوقه الحمائم.

على أن حسن تأتيه في مدحه لبني أمية خلفائهم وامرائهم أدل على لباقته وتحضره فهو شاعر مجيد من شعراء القصور يحسن القيام برسوم الخلفاء والامراء في مخاطبتهم على الوجه الأكمل ويمدحهم بما هو أشبه بالدعاية السياسية ويضفي عليهم رداء الجلال والعظمة فاسمعه يقول في مدح الوليد بن عبد الملك :

صلى الذي الصلوات الطيبات له والمؤمنون إذا ما جمعوا الجمعا
على الذي سبق الاقوام ضاحية بالاجر والحمد حتى صاحباه معا
هو الذي جمع الرحمن أمته على يديه وكانوا قبله شيعا
عذنا بذي العرش أن نحيا ونفقده وان نكون لراع بعده تبعا
إن الوليد أمير المؤمنين له ملك عليه أعان الله فارتفعا

ويقول في مدحه أيضاً :

صلى الإله على امرئٍ ودعته وأتم نعمته عليه وزادها
أو لا ترى أن البرية كلها ألقت خزائمها اليه فقادها
ولقد أراد الله إذ ولاكها من أمة إصلاحها ورشادها
أعمرت أرض المسلمين فأقبلت وكففت عنها من يروم فسادها
وأصبت في أرض العدو مصيبة عمت أقاصي غورها ونجادها

ظفراً ونصراً ما تناول مثله أحد من الخلفاء كان أرادها
فإذا نشرت له الثناء وجدته جمع المكارم طرفها وتلادها
تأتيه أسلاب الاعزة عنوةً قسراً ويجمع للحروب عتادها

فهل ترى نمطاً أليق بمخاطبة الخلفاء من هذا النمط تحية الخليفة بالصلاة عليه وتعظيم للامر المضطلع به وإشادة بعظائم أعماله في سبيل الامة وإخلاص في محبته وتأييد لملكه وعرشه بل كيف ترى الفرق بين هذا الاسلوب الحضري وبين أسلوب بعض بادية الشعراء الذين اعتادوا أن يصفوا الممدوح بالحية الذكر ويمدحوه بتأريث النيران وعظم القدور ونحر الجزور ودعوة الجفلى والنداء على الطعام وكثرة الهبات أو أن يصفوا عناء سفرهم إلى الخليفة وما لاقوه من المشاق وما هم عليه وعيالهم الذين خلفوهم وراءهم من الفاقة ليزيد الخليفة في رفدهم . هذا جرير أطبع أهل زمانه على الشعر لم يستقم له في مدح الخلفاء ذلك الاسلوب الذي استقام لعدي فانه في مدحه لعمر بن عبد العزيز أشبه بالمستجدي منه بالشاعر قال :

إنا لنرجو إذا ما الغيث أخلفنا من الخليفة ما نرجو من المطر
أأذكر الجهد والبلوى التي نزلت أم قد كفاني الذي بلغت من خبري
كم بالمواسم من شعثاء أرملة ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر
يدعوك دعوة ملهوف كأن به مساً من الجن أو خبلاً من البشر
ممن يعدك تكفي فقد والده كالفرخ في العش لم يدرج ولم يطر
خليفة الله ما ذا تأمرون بنا لسنا اليكم ولا في دار منتظر
لتنعش اليوم ريشي ثم تنهضني وتنزل اليسر مني موضع العسر

وما ذلك الا لبداوة جرير وبعده عن حياة الحاضرة على أنه بحر لا ساحل له .

ولعدي أيضاً أبيات يمدح بها أحد أمراء بني أمية وهو عمر بن الوليد بن عبد الملك تدل على لباقة وحسن تأت لو قالها أحد شعراء القصور في هذه الايام لأثارت إعجاب الناس لما فيها من حذق ولباقة وهي :

وإذا نظرت الى أميري زادني ضناً به نظري الى الامراء
تسمو العيون اليه حين يرونه كالبدر فرّج بهمة الظلماء
والقوم أشباه وبين حلومهم بون كذاك تفاضل الأشياء
كالبرق منه وابل متتابع جوْد وآخر ما يجود بماء
والاصل ينبت فرعه متأثلا والكف ليس بنانها بسواء
بل ما رأيت جبال أرض تستوي فيما غشيتُ ولا نجوم سماء
والمرء يورث مجده أبناءه ويموت آخر وهو في الاحياء

وفي شعر عدي عدا النعومة الحضرية مفردات ومعان تدل على الحضارة كذكر الكتاب والقلم والدواة والبريد والتجار كقوله :

تزجي أغن كأن ابرة روقه قلم أصاب من الدواة مدادها

و كقوله :

لمن رسم دار كالكتاب المنمنم بمنعرج الوادي فويق المهزم

وقوله :

ونحن بأرض قلّ ما يجشم السرى بها العربيات الحسان الحرائر
كثير بها الأعداء يحسر دونها بريد الامام المستحث المثابر

وقوله :

مستطير كأنه سابري عند تجر منشر وملاء

على ان أثر البادية ظاهر جلي في شعره أيضاً فأنت تدرك به روح البادية كما تبصر أفياء الحاضرة فتراه يصف المطايا والمفاوز وما فيها من أعلام طامسة وأطلال دارسة ووحوش راتعة ولكنه ينتزع لها تشبيهات مما شاهده في الحاضرة بمتانة رصف وقوة أسر وجزالة تركيب ولعل عدم انقطاعه عن البادية هو الذي كفل لشعره السلامة مما يعتري كثيراً من شعراء الحواضر ويسميه النقاد باللين ويعنون به الرقة التي تفضي الى الاسفاف ونجد هذا اللين في شعر عدي بن زيد

العبادي وأمية بن أبي الصلت وابن قيس الرقيات والوليد بن يزيد وكلهم حضريون .

وهكذا فشعر عدي بما فيه من روح البادية ورونق الحاضرة عربي في جزالته ورصفه وخياله ومعانيه وتفكيره ونظراته لا تجد فيه أثراً من ثقافة أجنبية شأن جميع الشعراء الاسلاميين لان الحياة بجميع مظاهرها أيام بني أمية كانت عربية إسلامية .

لقد أحسن عدي في الوصف فإنه وصف الطيف والغيث والبرق والليل والخمر والمطايا والظباء والوحوش في حركاتها وما تثيره من الغبار في عدوها . قال صاحب الاغاني قال عبد الله بن مسلم : « ومما ينفرد به (عدي) ويتقدم فيه وصف المطية فإنه كان من أوصف الشعراء لها »

قال في الخيل :

يخرجن من فرجات النقع دامية ... كأن آذانها أطراف أقلام

وقال ابن قتيبة : عدي أحسن من وصف الظبية وولدها .

وقال جرير : سمعت عدي بن الرقاع ينشد الوليد بن عبد الملك قصيدته التي أولها :

عرف الديار توهماً فاعتادها

فحسدته على أبيات منها حتى أنشد في صفة الظبية والغزال

تزجي اغن كأن ابرة روقه

فرحمته من هذا التشبيه وقلت بأي شيء يشبهه ترى فلما قال :

قلم أصاب من الدواة مدادها

رحمت نفسي منه وحالت الرحمة حسداً .

قال أبو هلال العسكري في ديوان المعاني : (واما قول عدي في صفة قرن الظبي فليس له شبيه)

ولم يقل أحد كما قال عدي يصف حماري الوحش في عدوهما وما يثيرانه من الغبار :

يتعاوران من الغبار ملاءة غبراء محكمة هما نسجاها
تطوى إذا علوا مكانا جاسيًا وإذا السنابك اسهلت نشراها

والى ذلك أشار أبو تمام الطائي بقوله :

تثير عجاجة في كل ارض يهيم بها عدي بن الرقاع

وقال ابو هلال العسكري في ديوان المعاني بعد أن أورد بيتي عدي : (لا اعرف في صفة الغبار أحسن ولا أتم من هذا)

وعدي في غزله حسن رقيق عذب يغلب عليه الوصف الدقيق في المعاني الغزلية ، من ذلك وصف تفتير العينين ولم يقل أحد مثله · قال نوح بن جرير يا أبت من أنسب الشعراء ؟ قال أتعني ما قلت قال إني لست أريد من شعرك انما اريد من شعر غيرك قال ابن الرقاع في قوله :

لولا الحياء وان رأسي قدعسا فيه المشيب لزرت أم القاسم
وكأنها بين النساء أعارها عينيه أحور من جآذر جاسم
وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم

ثم قال لي ما كان يبالي ان لم يقل بعدها شيئًا ·

وهذه الابيات مما يتغنى به · قال محمد بن عباد كنت عند أبي عمرو وعنده رجل أعرابي كأنه مدني فقرأت عليه ابيات عدي : (لولا الحياء وان رأسي قد عسا) فقال ابو عمرو أحسن والله فقال الاعرابي أما والله لو رأيته مشبوحا بين اربعة وقضبان الدفلى تأخذه لكنت له أشد استحسانًا يعني إذا كان يغني على العود ·

قال القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني في كتاب الوساطة : « واما قول عدي (وسنان ···) فقد زاد به على كل من تقدم وسبق بفضله جميع من تأخر ولو قلت اقتطع هذا المعنى فصار له وحظر على الشعراء ادعاء الشرك فيه لما اراني بعدت عن الحق ولا جانبت الصدق »

وقال ابو هلال العسكري في ديوان المعاني : قال ابو عمرو لاصحابه ما أحسن ما قيل في العيون ؟ قال بعضهم قول جرير

ان العيون التي في طرفها حور قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله أركانا

وقال آخر قول ذي الرمة :

وعينان قال الله كونا فكانتا فعولان بالالباب ما تفعل الخمر

وقال آخر بل قوله

يذكرني ميًّا من الظبي عينه مراراً وفاها الاقحوان المنوّر

فقال أبو عمرو أحسن من هذا كله قول عدي بن الرقاع العاملي:

وكأنها بين النساء أعارها عينيه أحور من جآذر جاسم
وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم

ومن غزله العذب قوله:

صادتك أخت بني لؤي إذ رمت وأصاب سهمك اذ رميت سواها
وأعارها الحدثان منك مودة واعير غيرك ودها وهواها
بيضاء تستلب الرجال عقولهم عظمت روادفها ودق حشاها
يا شوق ما بك يوم بان حدوجهم من ذي المويقع غدوة فرآها

وقوله :

ونبه شوقي بعد ما كان نائماً هتوف الدجى مشغوفة بالترنم
بكت شجوها بعد الضحى فتساجمت اليها دموع العين من كل مسجم
فلو قبل مبكاها بكيت صبابة بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا بكاها فقلت الفضل للمتقدم

وله نظرات في الادب والحكمة تغلب عليها السذاجة العربية زين بها بعض قصائده في مناسبات شتى كالابيات التي مدح بها عمر بن الوليد بن عبد الملك وقد سبق ايرادها وغيرها كقوله :

أخبر النفس انما الناس كالعيدان من بين نابت وهشيم

وقوله :

والدهر يفرق بين كل جماعة ويلف بـين تباعد وتناء

وقوله :

والمرء ليس وان طالت معيشته يرى الذي هو لاق قبل ان يقما

وقوله :

إني إذا ما لم تصلني خلتي وتباعدت عني اغتفرت بعادها

ومن المعاني التي نظم بها عدي التهنئة وهو معنى لم تقل الجاهلية فيه قال يهنئ عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك حين تزوج:

قمر السماء وشمسها اجتمعا بالسعد ما غابا وما طلعا

ما وارت الاستار مثلهما فيمن رأيناه ومن سمعا

دام السرور له بها ولهـا وتهنآ طول الحياة معا

اثر الشام في شعر عدي

الشعر العربي ابن البادية تعبق منه رائحة الشيح والقيصوم في بوادي الحجاز ونجد وهضاب اليمن وظلال الشام وشواطئ دجلة وسقي الفرات ، والشاعر العربي لعهد عدي يعتمد روح البادية عمود الشعر وقوامه ولكن بالرغم من ذلك فان أثر الشـام واضح جلي في شعر عدي فلقد ذكر مدنها وحواضرها وقراها وربوعها ورياضـها وظلالها وأنهارها ومياهها وجبالها وباديتها كما ذكر آرامها ووحوشها وطيورها مثل حمص وخناصرة والاحص وجاسم والمرج والمناظر والازرق واعامق وفلسطين و بيت رأس والاردن والغريفة وغيرها وطبيعة الشام المنسجمة الساحرة في ارضها وسمائها وما في دمشق يومئذ من جلال الخلافة وعظمة الملك أوحى الى عـدي كثيراً من ذلك الانسجام واللباقة والتثقيف في شعره حتى صار يعتد ذلك فناً خاصاً بالشاميين لايجيده غيرهم ولذلك كان عدي ينتقد كثير عزة و يغمزه و يطعن على شعره و يقول

(هذا شعر مجازي مغرور إذا أصابه قر الشام جمد وهلك) وهكذا فعدي يفخر بعربيته وشاميته معترف بما توحيه طبيعة الشام الساحرة الى الشاعر العربي حتى يرى نفسه فوق شعراء العربية .

ولقد وجد عدي في بادية الشام مجالا لرياضة الشعر على النحو الجاهلي في بوادي نجد والحجاز فاعتسف مفاوزها ووقف على الرسوم وبكى الاطلال ووصف الآل وحن إلى آكامها وداراتها وربوعها وشبب بغزلانها واهتاج للمع بروقها .

وهذه أمثلة من شعره يلوح عليها الطابع الشامي :

منعوا الثغرة التي بين حمص والكهاتين ليس فيها عريب

وإذا الربيع تتابعت انواؤه فسقى خناصرة الاحص فجادها

وكأنها بين النساء أعارها عينيه أحور من جآذر جاسم

والغريب أن القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني صاحب كتاب الوساطة على نفوذ بصره وصحة أحكامه في النقد أساء فهم هذا البيت فظن أن ذكر جاسم من حشو الكلام لا فائدة في ذكره فقال بعد أن قرظ البيت « وقد رأيت ظباء جاسم فلم أرها إلا كغيرها من الظباء وقد يختلف خلق الظباء وألوانها باختلاف المنشأ والمرتع وأما العيون فقل أن تختلف لذلك » وفاته أن عديا شامي وجاسم من قرى الشام فلجآذرها منزل في قلبه لا يحتله غيرها .

ومن شعره المطبوع بالطابع الشامي :

فكأني من ذكركم خالطتني من فلسطين جلس خمر عقار

عتقت في الدنان من بيت راس سنوات وما سبتها التجار

وقوله :

حتى وردن من الازرق منهلا وله على آثارهن صحيل

وقوله

فذرذا ولكن هل ترى ضوء بارق وميضا ترى منه على بعده لمعا

تصعد في ذات الارانب موهنا اذا هز رعدا خلت في ودقه شفعا

الى مايشابه هذه الابيات في شعره • وهناك ابيات يلم فيها بالاحداث السياسية التي جرت في الشام كوقعة مرج راهط التي كانت بين مروان بن الحكم والضحاك بن قيس سنة أربع وستين وما كان من بلاء أهل الأردن الحسن مع مروان حتى قتل الضحاك وتم الأمر لمروان قال :

لولا الإله وأهل الاردن اقتُسمت نار الجماعة يوم المرج نيرانا

وكانتصار مسلمة بن عبد الملك على الروم سنة سبع وثمانين عند طوانة قال :

وكان أمرك من أهل الطوانة من نصر الذي فوقنا والله أعطانا

أمراً شددت باذن الله عقدته فزاد في ديننا خيرا ودنيانا

يتبع خليل مردم بك







المعجمية العربية

في ضوء الثنائية والألسنية السامية

(تابع للمقال السابق)

La lexicologie arabe à la lumière du bilittéraiisme et de la philologie sémitique

٩) صلّى صلاةً

حسب قواعد الاعلال في العربية ، أصل صلاة ، صَلَوَة وزان فعَلَة ، قلبت واوها ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها . « صلاة » اسم من الفعل الثلاثي المجرد الوارد ناقصاً ، واويا أو يائياً ، بالمعاني المضاربة التالية .

العربية

صَلى (يصلي) اللحمَ : شواه ، و— القاه في النار للاحراق ، و— فلانا : خدعه ، و— زيداً النار ، وفيها : أدخله إياها ، واثواه فيها ، و— للطير : نصب له الشرك ، و— لفلان في أمر : أوقعه فيه ليهلكه .

صَلِيَ النارَ ، وبها : قاسى حرها ، و— الامر ، وبه ، عانى شدته ، وصليَت الناقة : وقع ولدها في صلاها ، و— استرخى صلاها لقرب نتاجها .

صَلّى عصاه على النار : لينها وقومها ، و— يده : سخنها ، و— الشيَ القاه في النار ليحترق ، و— اللحم : احرقه ، و— الرجل الشيْ لزمه .

تصلّى النارَ، قاساها، و— استدفأ .
الصلا النار، و— الوقود .
الصلاء النار، و— الوقود، و— الشواء .

* * *

صَلا صلاه : اصاب صلاه .
صَلّى الفرسُ تصلية : اذا جاء مصلياً، وهو الذي يتلو السابق، لان رأسه عند صلاه، و— الحمارُ اتنه : طردها وقحمها الطريق، و— الله على رسوله: بارك عليه وأحسن الثناء عليه، و— الظَهْر : ضرب صلاه، أو أصابه، و— الرجلُ : دعا وأقام الصلاة .
الصَلا مصدر، و— وسط الظهر من الناس والبهائم، و— ما انحدر من الوركين .
الصلاة الدعاء : و— الرحمة، و— الاستغفار، و— حسن الثناء من الله، و— عبادة فيها ركوع وسجود، و— احدى الصلوات المفروضة .

* * *

السريانية :

Ṣlâ , ṣli مال، انعوج، زاغ، نزل، حل، اتجه، صلّى، نصب شركا، عوّج، حدّر، وجه، قوم .
Ṣalli صلّى، بارك، تضرّع، صلّى، أمال، أحني، أصلح، رد احداً إلى منصبه .
Ṣlayyâ ميل، انحراف، انحناء، منحدر
Ṣlô, ṣlôtâ صلاة .

العبرية :

Ṣâlâh شوى
Ṣli مشوي

على أن هذه الثلاثيات الناقصة صادرة عن الثنائيات التالية : وبها يتسنى تنسيق المعاني المتضاربة ٠

العربية :

صَلْ ، صَلَّ انتن اللحم ، أجن الماء ، و — يبس المعى من العطاش ؛ و — يبس السقاء ، و — صوّت ، و — صفي ٠

الصَلَّة المطرة الواسعة والمتفرقة ؛ و — التراب الندي ؛ و — القطعة من العشب ؛ و — الارض اليابسة ؛ و — الجلد اليابس قبل الدباغ ؛ و — النعل ، و — صوت المسمار ٠

صَلصَلَ صوت ؛ و — أوعد وتهدد ٠



* * *

السريانية :

Ṣal «a»	صَلْ ، طَنْ ، دوى ٠
Ṣal «0»	صَلْ ، نقي ، صفى ، راق ، صفا ٠
Ṣaloal	صلْ ، نظف ، صلصل ، صوّت ، رنّ ٠
Ṣlaltâ	صليل ، طنين ، ولولة ، عويل ، صفاوة ٠
Ṣlôlitâ	جرة منقدة ٠
Ṣâlâ	صَلة ، جلد يابس ٠

العبرية :

Ṣâlal	طنّ ، رنّ ، دوى ، خفق ، ارتعد ، صفا ، راق ٠ سقط ، غطس ، غرق ٠
Ṣilsôl	صوت ، طنين
Ṣalsal	صوّت ، طنّ

تعليل وتنسيق

صَلْ

١) أول ما دل عليه هذا الحرف انما هو الحرارة ، وهو ظاهر في معاني «صَلى» ومزيداتها ، وهذه هي :

صَلى	:	شوى اللحم ، أي حماه أو ألقاه في النار للاحراق .
صلى	:	يده أي سخنها .
صلِيَ	:	النار ، قاسى حرها .
تصلّى	:	بمعنى صَلي .
اصطلى	:	استدفأ أي حمي .
الصلى	:	النار ، الوقود ، أي المحروق بالنار .
الصلاء	:	النار ، الوقود ، الشواء .

* * *

وكذا الحال في العبرية : فان Sâlâh يدل على شوى ، Sli مشوي . أما السريانية فلا أثر فيها لهذا المعنى ، الا في كلمة Slôlîta جمرة متقدة . ومن باب المجاز ، جاء « صلى » بمعنى الخديعة ، ونصب الشرك ، والالقاء في التهلكة . وكذا في السريانية Slâ نصب الشرك . ثم بالمعنى المجازي جاء أيضاً « صلى » بمعنى الليونة ، لان النار تلين وتذوّب . ثم بمعنى الملازمة ، لان الحرارة ، إذا تغلغلت في شيء ، لازمته ، أولا اقل من أن تبطئ في مفارقته .

٢) إن المواد القابلة التخمر ، ومن ثم النتانة ، يتولد ذلك فيها بقوة الحرارة ، ولذا نرى « صَلّ » بمعنى انتن اللحم ، وأجن الماء . و « الصَّلّة » الجلد المنتن .

٣) إن الحرارة ، إذا دخلت في شيء مبلول أو رطب ، جردته من الرطوبة إلى حد أن تيبسه ، فلذا ورد الثنائي (صَلّ) بمعنى اليبوسة . من ذلك : صلّت الإبل : يبست أمعاؤها من العطش . وصل السقاء : يبس . الصلّة : الجلد اليابس قبل الدباغ

و— النعل ، وهو الجلد اليابس ، و– الأرض اليابسة ، وفي السريانية أثر لهذا المدلول في كلمة Sâlâ : صَأَة ، أو جلد يابس .

٤) على أن الجلود وغيرها من المواد التي تيبس بفعل الحرارة ، أو التي هي من طبعها يابسة ، من شأنها أن تصوت ، لهذا نشأ المعنى الثالث للثنائي « صل » صوت . وصلت أمعاء الإبل : اذا يبست من العطش فصوتت . من ذلك أيضاً : صلصل : صوّت . والصلة . صوت المسمار واللجام . وفي السريانية . Ṣal : صل . طن . رن . Ṣalsal صلصل . و Ṣloltâ . صليل ، طنين . وفي العبرية Ṣâlal دوى ، طن . و Ṣalsal صوت ، طن ، و Ṣalsâl صوت ، طنين .

ثم من ذلك المعاني المجازية في العربية : صل : أوعد ، تهدد ، لان الوعيد يجري عادة بالصوت العالي أي الصراخ . وفي العبرية Ṣalal خفق ، ارتعد . وفي السريانية Ṣlaltâ ولولة ، عويل .

٥) إن الحرارة اذا يبست الشيء ، انفرزت منه المواد الفاسدة ، فيضحي صافياً رائقاً . من ذلك وردت المدلولات التالية ، في العربية صل صفى . وفي السريانية Ṣal : صفى ، نقى ، نظف ، راق ، صفا ، وفي العبرية Ṣâlal : صفا ، راق .

٦) ان انفراز الشيء من الشيء ينجم عنه الخروج ومن الخروج الاتجاه أو الميل أو الانحراف ، ومن هذا جاءت المعاني الآتية : في السريانية Ṣla اتجه ، مال ، وجه ، عوج . و Ṣalli : أمال ، احنى ، رد الرجل الى منصبه ، أصلح ، أي أعاد الشيء الى حالته الاولى الصالحة . و Ṣlayyâ ميل ، انحراف ، انحناء . و Ṣlâtâ صلاة .

واذا زاد الميل او الانحناء في الشيء بلغ به الى النزول لا بل الى السقوط حتى الغطس أو الغرق ، وعليه نرى في السريانية Ṣla يعني حل ، نزل ، حدر . و Ṣlayyâ ، منحدر ، وفي العربية ، صلا ، صليت الناقة . وقع الولد في صلاها ، و— استرخى أي انحدر صلاها . الصلا . وسط الظهر . و— ما انحدر من الوركين . صلّى الفرس . اذا جاء مصلّياً ، أي متبعاً وحانيا راسه نحو صلا سابقه ، و— الحمار أتنه : طردها واتبعها ، و— الظهر : ضرب صلاه ، أي منحدره ، الصلة : المطرة النازلة ، الخفيفة ،

المتفرقة . ومن هذا المعنى الصلة ، القطعة من العشب ، والتراب الندي ، وفي العبرية sâlal سقط ، غطس ، غرق ، وفي الاكدية salâlu : ارتمى ، رقد ، سقط .



الصلاة

الصلاة : الدعاء ، و— الرحمة ، و— الاستغفار ، و— حسن الثناء ، و— عبادة فيها سجود وركوع ، و— احدى الصلوات المفروضة . الصلاة شرعاً أقوال وأفعال . الصلاة مشتقة من « صل وصلا » « صل » الصوت والطنين ، مصدر الكلام . فهو أصل الصلاة بكونها أقوالا . من ذلك معانيها الدالة على القول ، وهي الدعاء ، البركة ، الرحمة ، الاستغفار ، حسن الثناء ، وبصفتها أفعالا تشتق من (صل) بدلالته على الميل والانحناء والسجود . وهذا المدلول ليس بظاهر في المزيد (صلّى) بل هو بيّن في المجرد السرياني sla أي امال ونزل . وفي مزيده sâlli ، احنى ، تضرع ، بارك ، صلى .

والصلاة بما تتطلبه من الحركات ، كالانحناء والسجود والركوع والنهوض والوقوف ، كانت دارجة بين الرهبان الآراميين السريان المنتشرة اديارهم على طول طريق الحجاز التي كانت القوافل تقطعها ذهاباً وإياباً للتجارة بين مكة والبلاد الشامية . وهذه الصلاة ، بأعمالها الخارجية قد تعلمها العرب الغساسنة المسيحيون وغيرهم من غير النصارى عند زيارتهم كنائس الرهبان وحضورهم صلواتهم . وبهذه الطريقة دخلت وعمت بينهم اسماً وفعلاً . واذ كان يرافق هذه الحركات البدنية أقوال روحانية من أدعية وابتهالات ، دلت الصلاة عليها ، وإذ كانت تجري الصلاة في الكنائس دعيت هذه البيع (صلوات) من باب تسمية المكان باسم العمل الجاري فيه . وهكذا وردت في القرآن (سورة الحج ، ٤٠) ولو لا دفعُ الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع و (صلوات) ومساجد يذكر فيها اسم الله .) وإلى الآن في شرق الاردن يسمي النصارى العرب كنائسهم (صلوات) .

ومن الادلة على أن كلمة (الصلاة) سريانية أنها في القرآن وخارج القرآن

الى الان ، تكتب غالب الاحيان « صلوة » بالواو . وان لفظت «صلاة» بالالف ، وذلك انها لما دخلت الى العربية كتبت ولفظت على لفظ السريان بالواو .

فاذا تقرر هذا نظن ان قول البستاني صاحب « البستان » وغيره بأن الصلاة هي : الدعاء « وهو اصل معانيها » ليس بثبت ، لان الكلمة آتية من الفعل السرياني Sallî الدال على الانحناء والسجود والركوع ، اي على افعال الصلاة لا على اقوالها ، لان الاقوال كالدعاء والاستغفار ، من الامور المرافقة لهذه الاعمال .

وكذلك ما ورد في محيط المحيط وغيره من المعاجم من ان اشتقاق «الصلاة» من الصلا — وهو العظم الذي عليه الاليتان — لان المصلي يحرك صَلَوَيه في الركوع والسجود ؛ او من الملزوم — كان الصلاة ملازمة العبادة ! اومن العطف وطلب الاصغاء والاستمالة : فهذه كلها تآويل وجيهة فيها شيءٌ من الصواب لكن الاصوب هو ان الصلاة — كما بيَّنا — مشتقة من الفعل السرياني الدال على الانحناء والسجود والركوع ، وقد استعمل الصلاة على هذه الطريقة السريان النصارى ومنهم انتقلت الى النصارى العرب وغيرهم .

اما قول اصحاب التفسير واهل المعاجم مثل صاحبي محيط المحيط واقرب الموارد بان « الصلاة » جاءت من العبرية (صلوتا) فننكره كل الانكار ، ودليلنا ان هذه اللفظة ليست بعبرية ؛ ولا وجود لها في التوراة ، وان كانت مستعملة في بعض الكتب عند العبريين وفي لغتهم الحديثة فهي منقولة عن الآرامية وفي آخرها الف الاطلاق مما هو من خصائص الالفاظ الآرامية . واما اشباع الفتحة في العبرية فيكون بالهاء لا بالالف ، والالفاظ المشبعة بالالف في العبرية أصلها دون ريب من الآرامية ، زد على ذلك ان الفعل Sâlâh العبري كما رأينا — لايدل الا على شوى ، ولا يعرف قطعاً في هذا اللسان بمعنى انحني او سجد ، او ركع .

وكل هذا يدلنا على ان الكلمة سريانية اصلاً واشتقاقا واستعمالاً : اذن هي دخيلة في العبرية والعربية ٠

* * *

١٠) علم ، غلم

التضاربُ بيّن ووافر بين مدلولات هذين الفعلين ومشتقاتهما سواء كان ذلك في لغة واحدة من اللغات الساميّة ، او بالمقابلة باخواتها ، على ان في الثنائية والالسنية السرّ للتوفيق بينهما ٠ وهذا التوفيق في الموضوع الحاضر لايتم بمجرد ردّ الثلاثي الى ثنائي واحد ، وحسب الامر الذي لايفي بالمرام - بل يردّه تارةً الى ثنائي وتارةً إلى ثنائي آخر ، مما يستدلّ منه على تعدّد الاصل الثنائي للثلاثي الواحد ، طبقا لتضارب المعاني ٠

ومن المعلوم عند الالسنيين ان العين والغين المفترقتين في العربية هما موحدتان بالعين في السريانية والعبرية والحبشية : وقد استحالت العين ذاتها همزةً في الاكدّية ، على ان الالفاظ العبرية والسريانية والحبشية تقابل ، حسب المعاني ، طوراً الكلمات المبتدئة بالعين ، وطوراً آخر المبتدئة بالغين ، في العربية ٠

فاذا تقرر هذا ، لنأخذنّ في التفاصيل:

ان الثنائيات التي يرد اليها الثلاثي (علم او غلم) لاظهار تناسق المعاني واتصال بعضها ببعض هي ثلاثة : (علّ او علا ولمّ وغلّ) ٠٠

* * *

علم

١) هذا فعل « علم » ، فاذا كان على وزن « فَعَل » كان الثنائي الصادر عنه « عَل » الظاهر معناه في الناقص « علا » الدال على العلو

والارتفاع، ومن ثم على الظهور . اذن الاصل الثنائي هو « عَلْ » والحرف الزائد فيه هو (الميم) .

عَلِمَ (عَلْ أو علا) : وسم ، لان السمة بشيء عال ، أي ظاهر .
〃 (〃) : لان عمته على رأسه بعلامة تعرف بها .
عَلَّمَ (〃) : وسم الفارس نفسه بسيماء الحرب .
〃 (〃) : جعل لفلان امارة يعرف بها .
أعلم (〃) : الحافر البئر : وجدها كثيرة الماء ، أي عاليته .
〃 (〃) : وسم نفسه بسيماء الحرب .
〃 (〃) : علق على الفرس صوفاً ملوّناً في الحرب ، أي بمنزلة علامة .
〃 (〃) : جعل على الكتاب علامة .
〃 (〃) : جعل القصار للثوب علما من طراز وغيره .
أعتلم (〃) : البرق : لمع في العلم ، أي علا وظهر .
العَلاَّمة (〃) : سمة ، و — الفصل بين الارضين (علامة) ، و — شيء منصوب يهتدى به .
العُلاّمة (〃) : ما يستدل به .
العلم (〃) : العلامة والأثر ، و — المنارة ، و — الفصل بين الأرضين ، و — شيءٌ ينصب في الطريق يهتدى به و — سيد القوم (أعلام) ، و — رسم الثوب ، و — رقمه ، و — الجبل الطويل ، و — الراية ، و — ما يعقد على الرمح (علامة) وفي كل ذلك معنى العلو ومن ثم الظهور)
العَلماء (〃) : الدرع (لظهورها)

ب) واذا كان الوزن « فَعِل » كان أصل اشتقاقه من ثنائي آخر ، وهو « لمّ » أي جمع . إذ من جملة الاشياء المجموعة المعارف ، ويتجلى هذا المدلول في المزيد (ألمّ) فان أحد معانيه المعرفة ، اذ يقال (ألمّ بالمعنى)

عرفه ، وعليه فعلم مشتق من (لم) بزيادة العين .

عَلِم (لم): عرف تيقن .

" ("): اتقن الامر أي عرفه عمليًا .

" ("): أدرك الشيء ، فهمه .

علّم ("): جعله يتعلم ، أي يلم بماهية الشيء .

أعلم ("): أخبر ، أي جعله يلم بالخبر .

عالم ("): غالب في العلم ، أي في الالمام بالشيء .

تعلم ("): مطاوع علم .

اعتلم ("): علم الشيء ، ألم به .

استعلم ("): استخبر ، طلب الالمام بالخبر أو بالشيء .

العالم ("): المتصف بالعلم ، الملم بالاشياء .

العُلاّم ("): العالم جداً و— النسابة أي الملم بمعرفة الانساب .

العليم ("): العالم ، و— الله تعالى .

المعلم ("): الملهم للصواب والخير .

ت) ولهذا الفعل الثلاثي (علم) معان أخر تفترض اشتقاقه من عَل أو غل) الدال على الدخول أو الولوج او التغلغل في الشيء . من ذلك :

علَم (عَلْ، غَلْ) شق شفته العليا ، أي أولج فيها السكين .

علم (") انشقت شفته العليا .

العَلاّم (") لب عجم النبق ، وهو الداخل في أعماقه أي المتغلغل فيه .

العلام (") الباشق ، وهو الحاد النظر ، أي الداخل في أعماق الاشياء .

" (") الصقر مثله .

العُلَمه (") الشق في الشفة العليا .

الاعلم (〃) ما بشفته العليا شق ٠

السريانية :

'lam ('lam لم ، أحاط) علم ، عرف ٠

'allem (〃) علم ، هذب ، مدح ، زين

'lem'ida 'ta 〃) حديث العلم ، قليل الخبرة ٠

(الحبشية)

'âlâma (عل) ، علم ، وسم ، ختم ، سجّل (كلها بمعنى وضع علامة)

ta'lâma (〃) ، رقم ، وقع ، وضع علامة ٠

ma'alam (لم) معلم ٠

***

« غَلم »

غلم مشتق من الثنائي (غل) ومعناه دخل أو ولج ، وهذه الدلالة تتسع في الناقص (غلى يغلي ، وغلا يغلو) ففي الاول يراد الغليان ، وهو أمر يفترض تداخل العناصر بعضها ببعض ، والثاني فيه نتيجة ذلك ، اي إن هذا التداخل ينشأ عنه النمو والارتفاع ٠

غلِم (عل ، غلا) غُلب شهوةً ، أي جاشت وغلت أمياله ٠

اغتلم (〃) غلم ٠

〃 (〃) الشراب ، اشتدت سورته اي غلت ٠

〃 (〃) امواج البحر ، اشتدت اي غلت ٠

الغلام (〃) الشاب البالغ ، اي الذي قد غلت فيه عناصر الشبوبية[1] ، فلذلك نما وطال ٠

(١) المجلة : لم نعثر على الشبوبية في معاجم اللغة بل جاء الشبوب والشبابية ٠

الغُلام (〃) (مجازاً) الاجير · لان الاجراء يكونون عادةً من الشبان لقوتهم واقتدارهم على الشغل ·

〃 (〃) (مجازاً) العبد · للسبب عينه ·

الغيلم (〃) الشاب العريض المفرق ، الكثير الشعر أي البالغ النامي ·

〃 (〃) منبع الماء في الآبار · لان فيه يكثر الماء فينمو فيتدفق ·

غَلَن (〃) (النون زائدة) غلا ·

غلا (〃) زاد الشيء ، ارتفع ·

* * *

«السريانية»

ʻlèm (علْ او غلْ) غلم ، قوي ، ضخم (كلها بمعنى الغليان والنمو)

ʻallem (〃) أشب · قوي ، جدد · خلد · (لانه القوي يثبت خالداً)

ʻlaymâ (〃) غلام بالغ ، شاب ، قوي · ضخم (صفات الشباب)

〃 (〃) (مجازاً) غلام ، خادم ·

ʻalama (〃) فتي ، حدث ، جديد ·

ʻlayemta (〃) فتاة ، شابة ·

* * *

العبرية :

ʻâlam (عل ، غل) خفي ، جهل ، ستر · اختفى ، هرب ، نسي ، كان مجهولا غير أكيد · (كلها تدل على معنى الخفاء أو التواري ، أي الدخول أو الولوج)

ʻallem (〃) أخفي ، وارى ؛ أظلم (أخفي بالظلام) أسرّ (جعله سراً أي خفياً)

He 'allem أخفى ، ابتعد ، تكوم (معنى الخفاء) ·

'êlem (غل ، غلى) : غلام ، شاب ·

'âlâmh (″) : شابة ، عذراء ، آنسة ، امرأة شابة ·

* * *

« العالَم »

على رأينا أن أصوب اشتقاق لكلمة « عالم » أن تؤخذ من العبرية الدال فيها حرف âlam على الخفاء · والثلاثي مشتق من الثنائي 'al أو 'âlal العبري ويقابله في السريانية al' والكليهما معنى الدخول ، لان الخفي والمستور هو الداخل دخولا يمنع رؤيته · والماثل لهذين الحرفين في العربية هو الثنائي « غل » الدال هو ايضا على الولوج ومن ثم على الخفاء ·

١) اول معنى اذن للفظة (عالَم) هو معنى الزمان الخفي او المجهول ، اي الداخل في الغيب ، وهو الازلية ـ الأبدية ·

٢) من باب التوسع ، اطلق على الزمان الذي نحن فيه ، اي الدهر ·

٣) ثم اريد به الخلائق او الكائنات الموجودة في هذا الزمان ، او الكون على وجه الاطلاق ·

٤) اخيراً يدل «العالم» على جمهور الناس ، والخلق كله ، وعلى كل صنف من اصنافه · ودونك صور لفظه في اللغات السامية :

العربية : عالَم ·
السريانية : 'almâ
العبرية : 'ôlam
الحبشية : 'âlam

أما الاكدية ، فالثلاثي الذي لامه ميم لا أثر له فيها ، انما ورد فيها الثنائي « عل » الصادر منه الناقص « علا » بمعنى ارتفع وصعد في سلم الزمان ، اي تقادم

عهده . من ذلك جاءت الالفاظ الآتية التي اصل الفا فيها عين ، وقد سقطت ، لانها حلقية ، ابقيت الهمزة عوضها Ullâti (علاتي) Ulla (عُلا) ، Ullani (علاني) ، وكلها تدل على الازمان الصاعدة ، البعيدة ، القديمة ، اي الدهور ، او الازلية — الابدية .

الاب ا . س . مرمرجي الدومنكي
من أساتذة المدرسة الكتابية والآثارية
في القدس الشريف



المصاب العام

بوفاة السيد الامام

محمد رشيد رضا منشيء المنار[1]

إنا لله وإنا إليه راجعون

قضى الله بالأمر الذي قد قضى به   وكان قضاء الله في الخلق جاريا

فيا ليتني ذقت المنية قبله   ولم أر فيه ما يشيب النواصيا



مات السيد الإمام ، فانطفأ ذلك النور « المنار » الوهاج الذي امتد شعاعه إلى أقاصي المعمور أربعين عاماً ، وخفت ذلك الصوت الداوي الذي ملأ مسامع الكون هدياً وإرشاداً ، وسكن ذلك القلب الكبير الذي أشرب حب الإصلاح من أول العهد بالحياة . مات السيد الإمام ، فمات منار الإسلام المنير ، وتفسيراه الكبير والصغير ، وفتاواه في حل المشكلات العصرية ، بالأدلة

(١) المجلة : تأخر نشر هذه الترجمة لأسباب لا محل لذكرها هنا ، وقد كنا وعدنا القراء بنشر ترجمة وافية للفقيد رحمه الله تعالى .

الجامعة بين المعقول والمنقول ، المثبتة أن الإسلام هو دين الفطرة والعقل والعلم الصالح لجميع الأزمنة والأمكنة والأقوام .

أما بعد فهذه شذرات من سيرة ذلك المصلح العظيم استخرجتها مما خطته يراعته في مدة أربعين عاماً ، وأعظمه مجلة المنار الإسلامي ، وهي (٣٤) مجلداً ، وتفسير القرآن الحكيم وهو اثنا عشر مجلداً ، والجزء الأول من تاريخ الأستاذ الإمام وهو في أكثر من ألف ومائة صفحة ، وكتاب المنار والأزهر عدا ما أعرفه منه (رضي الله عنه) مدة تشرفي بصحبته في سفره وإقامته ، في الشام والحجاز ومصر أثناء ستة عشر عاماً ، كنت فيها — كما كان يقول رحمه الله — صديقه الوفي ، وولده الروحي ، ويقول عني : إني أماثل في محبته لي وثقته بي أخاه الشقيق السيد حسين وصفي ، كذا سمعته من فمه في داره بمصر رحمه الله وجزاه خير الجزاء .

بيته ، سيادته ، نشأته

نشأ الفقيد العظيم في بيت دين وعلم وكرم وصلاح ، وسمعت منه رحمه الله أن أحد أجداده (ولعله الجد الرابع) قد قدم من شط الفرات (ولعله من ماردين) واختار الإقامة في القلمون ، وهي على شاطئ البحر المتوسط من جبل لبنان ، تبعد عن مدينة طرابلس الشام زهاء ثلاثة أميال ، وكان أهل هذه القرية من السادة الأشراف المتواتري النسب ، وأهل بيت الفقيد ممتازون فيهم بأنهم أهل العلم والإرشاد والرئاسة ، ويلقبونهم بالمشايخ للتمييز بينهم وبين غيرهم .

وقد اشتبه على بعض العلماء والكتاب — دع الخصوم والحساد — نسب السيد الفقيد النبوي ، وقالوا : إن آل رضا ليسوا من سكان القلمون القدماء فكيف يكونون من ساداتها الأشراف ؟ ولقب هؤلاء السيد الفقيد « بالشيخ رشيد » ونفذ خصومه من هذه الناحية فاتخذوا كلمة « الشيخ » غمزاً له

ومطعناً في صحة نسبه الشريف ، والجواب (١) هل يلزم من كونهم ليسوا من قدماء أهل القلمون ألا يكونوا أشرافاً مثلهم ؟ وهل انحصر شرف النسب النبوي في أهل القلمون . (٢) إن لآل رضا سلسلة نسب تثبت أنهم من آل بيت النبوة ، والناس مؤتمنون على أنسابهم كما جاء في الحديث . (٣) إن أهل هذه القرية لم يكونوا يزوجون إلا من كان شريفاً مثلهم ، ووالدة الفقيد شريفة من أهل القلمون . (٤) إن الشرف من جهة الأم ثابت كالشرف من جهة الأب على السواء ، وإن الأسباط في شرف النسب كالأحفاد ، والاناث منهم كالذكور ، وهل كان شرف الحسن والحسين إلا من جهة أمهما فاطمة الزهراء البتول (عليهم السلام) وهل كان نسل النبي الأطهر إلا منها ؟ وان الذين أعقبوا من أولادها هم الحسن والحسين وزينب (ع م) ومن هؤلاء تفرعت أغصان تلك الشجرة المباركة في جميع أرجاء الأرض ، فأولاد السيدة زينب من بنين وبنات — في صحة الشرف ونسبه — كأبناء أخويها الحسن والحسين ، وقد أخرج البخاري في صحيحه عن أبي بكرة (رض) قال : بينا النبي (ص) يخطب جاء الحسن فقال النبي (ص) إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين ، فأطلق الابن على ابن البنت .

والحاصل أن أصل شرف النسبة في هذه الأمة من النساء ، وأعني السيدة فاطمة الزهراء ، ولعمري ان هذا يعد من أكبر محاسن الإسلام ، إذ كرم المرأة وجعلها تشاطر الرجل الشرف ، وقد رأينا أن نجلو هذه الحقيقة ، ونزيل شبهة المنكرين والشاكين .

نشأ السيد الفقيد متصوناً ديناً ، شديد الحياء ، كثير العبادة ، عف اللسان والقلب ، بعيداً عن كلام الفحش والمجون . وكان في صغره ميالا الى العزلة ، قليل الرغبة في اللعب مع اللدات والأتراب ، شديد العناية بمطالعة كتب الأدب وكتب التصوف .

كنت أقرأ في المنار المنير وصف تلك النشأة الطيبة الطاهرة التي نشأها

فقيدنا العظيم في القلمون ، وأتخيل كتاب القرية الذي درس فيه القرآن الكريم ، وتعلم فيه مبادئ القراءة والكتابة ، والمسجد القاموني الذي كان يعظ الناس فيه ويخطبهم ، ويؤمهم في الصلوات الخمس أيضاً ، والغرفتين المطلتين على البحر في ركني المسجد الشماليين ، وكانت احداهما لخلوته وعبادته ، والثانية لمطالعته ومذاكراته ، ومنزل السيد الامام ، ومنازل آله الكرام ، كنت أمر في المنار على وصف هاتيك المباني والاثار فيحلو لي وصفها ، ويخيل إلي أنها ماثلة أمامي وأنا أشاهدها ، على أن الخبر ليس كالعيان ، وما الطف قول الامام ابن حزم رحمه الله :

ولكن للعيان لطيف معنى　　　لذا سأل المعاينة الكليم

ولما ألح بي الشوق لرؤية ذلك المسجد الذي بناه جد المترجم الثالث ، والمنازل الرضوية التي لها منازل في القلب ، ودرجات في الحب ، كما قال أبو الطيب « لك يا منازل في القلوب منازل » امتطيت سيارة من دمشق إلى بيروت ، وصحبت منها صديقي الاستاذ الشيخ محمد سعدي ياسين الدمشقي ، فبلغنا مسجدها أذان الجمعة ، وسمعنا خطبة الاستاذ المعمر الشيخ محمد كامل عم السيد الفقيد ، ووالد صديقنا الاستاذ السيد عبد الرحمن عاصم ابن عم السيد وتلميذه ، وزوج شقيقته ووكيل مناره ، وقد كان حاضراً فبتنا ليلتنا في ضيافته منشرحي الصدور ، قريري العيون ، بما زرنا من تلك المنازل العامرة ، ورأينا من تلك الآثار المباركة ، وقد أنسنا هناك بلقاء شقيقي السيد الأستاذين السيدين أدهم وحسن رضا وأولهما شيخ متعمم والثاني غير متعمم .

قرأت درساً عاماً بعد صلاة العصر في المسجد شرحت فيه حديث النية والهجرة ، « انما الاعمال بالنيات » وختمته بمخاطبة اهل القلمون قائلا : لقد ظهر منكم ونشأ فيكم ، رجل لا كالرجال في فهم مقاصد الدين والدفاع عن حوزته ، والوقوف في وجه جميع الطاعنين في الاسلام والطامعين

في أهله من جميع الملل والشعوب والاقوام ، ألا وهو السيد محمد رشيد رضا منشئ المنار وتفسيره ، وكفاكم بذلك فخراً وفضلا . ثم اقترحت عليهم أن يرسلوا منهم كل عام بعثة لتدرس في مصر تحت رعاية هذا الامام ويكونوا مرشدين ودعاة في الاقطار العربية والاسلامية والممالك الغربية ، وكتبت إلى السيد بذلك فسر رحمه الله ، وكان ذلك قبل وفاته بنحو عام .

لم يكن طلب فقيد الامة الرشيد للعلم لغرض دنيوي من تحصيل علم أو جاه ، أو رغبة في خدمة الحكومة والترقي في مناصبها ، وإنما كان بوازع الفطرة ، وباعث الايمان ، وحب ارشاد الامة والفوز بمرضاة الله تعالى ، ولهذا لم تطل مدته في المدرسة الرشدية الابتدائية في طرابلس ، اذ كانت دروسها باللغة التركية ، وكانت معدة لتخريج الموظفين ، فتركها بعد أن درس فيها سنة واحدة ، ودخل المدرسة الوطنية الاسلامية ، التي كان يديرها العلامة المصلح الشهير الشيخ حسين الجسر رحمه الله ، وكانت تدرس جميع دروسها العربية والشرعية والمنطق والرياضيات والفلسفة الطبيعية باللغة العربية ، وتدرس اللغتين التركية والفرنسية . وقد اشتهر الاستاذ الجسر رحمه الله بهذه المدرسة الدينية الوطنية ، وبكتابه المسمى بالرسالة الحميدية .

أما المدرسة فقد انشأها لتخريج الطلاب في العلوم والآداب ، وإعدادهم ليكونوا بمعارفهم وفضائلهم من مرشدي الأمة ، وقادة الرأي العام فيها ، في عصر كثر فيه اختلاط الامم بعضها ببعض ، وتنوعت فيه مطالب الحياة ، واقتبس الشرق من الغرب مزايا ورزايا ، وفتحت أبواب العلوم والفضائل ، كما فتحت أبواب المناكر والرذائل ، التي يعدها الفساق من لوازم المدنية الحديثة فأراد الاستاذ الجسر أن يكون طلابه حلقة اتصال بين المتهورين والجامدين ونقطة اعتدال بين الغالين والمقصرين ، فأعد لها الدروس الجامعة بين علوم الدنيا وعلوم الدين ، ولكن المؤسف أن الحكومة العثمانية لم تشأ أن تعدها من المدارس الدينية التي يعفى طلابها من الخدمة العسكرية ؛ فانظر إلى هذه

الغباوة ، وعلى أي قاعدة من قواعد الجهل والظلم بذت وجهة نظرها يا ترى !!
أكان جريمة وإثماً أن يتعلم طلاب العلوم الدينية على الطريقة العصرية ،
وان يدخلوا في منهاجهم ما يحتاجون إليه من العلوم المدنية واللغات الأجنبية
على أن اللغة التركية كانت لغة الدولة الرسمية ، واللغة الفرنسية هي لغة علم
وفن ، فماذا على طالب العلم لو درسها واتقنها ما استطاع بنية الاصلاح ؟
وقد صح أن النبي (ص) أمر زيد بن ثابت أن يتعلم اللغة العبرية فتعلمها وأتقنها ،
ولو مد الله في أجل هذه المدرسة الدينية العلمية ذات التربية الاسلامية
الوطنية ، لتخرج منها في ذلك العهد — أي منذ نصف قرن تقريباً —
حزب اسلامي اصلاحي معتدل ، يقف في وجه المدارس الاجنبية والحركات
التبشيرية ، ويدير الحركة الاصلاحية على طريقة امامي العصر السيد جمال
الدين الافغاني ، والشيخ محمد عبده المصري ، رحمهما الله تعالى .

وأما الرسالة الحميدية ، فسبب تأليفها أن مؤلفها رحمه الله كان قرأ بعض
مقالات مترجمة عن الصحف الاوربية منسوبة لبعض أحبار الانكليز المدعو
اسحق طيلر ، قد حاول فيها التوفيق بين معتقد الاسلام ومعتقد المسيحيين ،
وإقامة الدلائل على تقاربهما ، وتشابه كتبهما ، وبلغ المؤلف أيضاً أن
بعضاً آخر من رجال الانكليز المتضلعين في اللغات والفنون قد سعى في تلك
الأيام ببناء معبد للاسلام في البلاد الانكليزية وأنه يباشر هناك نشر جريدة
عربية يكون جل مقصدها البحث عن حقيقة الدين الاسلامي واشهار فضائله
لدى غير العارفين بها ، فخطر لصاحب الرسالة اذ وجد مجالا للكلام وسميعاً للنداء
أن يحرر رسالة يستبان منها حقيقة الدين الاسلامي باسلوب جديد سهل الفهم
لا تمله الانفس ، ولا تستوعره الافكار ، يروق العقول الحرة ، ويعجب
الاذهان المطلقة من قيود التعصب ، هذا بعض ما جاء في طليعة الرسالة
الحميدية ، وقد اشتملت على اثبات المعبود واجب الوجود ، وتحقيق نبوة خاتم
الرسل صلوات الله عليهم ثم الكلام على أسرار العبادات ، وحقائق المعاملات
وأحكام الحدود والتعازير والديات ، وأطال الكلام مع الماديين ففند شكوكهم

وشبهاتهم ، وأبطل دعاويهم ودحض حججهم ، وتكلم على حكمة الجهاد ، وتعدد الزوجات ، والطلاق ، والاسترقاق وتقريره في الشرائع المتقدمة ، وتحرير الرقيق في الاسلام ، وكيفية معاملة أبناء الملل السماوية في الشريعة الاسلامية وختمها ببيان مآخذ الاسلام الاربعة وهي الكتاب والسنة والاجماع والقياس وتكلم على شروط الاجتهاد ، وقد سد بابه مطلقاً فلا نفتحه عليه رحمه الله .

فهذا الاستاذ المربي الكبير ، والمصلح المؤلف الشهير ، منشئ المدرسة الوطنية ومؤلف الرسالة الحميدية ، هو الاستاذ الاول للمترجم ، وهو الذي تخرج على يده في العلوم العربية والشرعية والعقلية ، وقد وصفه هذا التلميذ البار بقوله : وكان له المام واسع بالعلوم العصرية كما يعلم من كتابه « الرسالة الحميدية » وكان كاتباً وشاعرا عصريا ، يكتب وينظم في كل موضوع بعبارة سهلة ، وكان له أسلوب خاص في التعليم غير اسلوب الازهر ، يتحرى فيه السهولة في البيان ، ويتجنب المناقشة اللفظية ، واستطرادات الحواشي ، فلم يكن يذكر منها إلا مالا يتم تحرير المسألة إلا به . وتلقى الفقيد الكبير فقه الشافعية وفن الحديث على شيخ الشيوخ في طرابلس الشام الشيخ محمود نشابه الذي حمل شهادات الازهر بثمانية عشر علما ، وقضى فيه ثلاثين عاماً عالماً ومتعلما ، وكان من مشايخه مثل الباجوري ، ومن اخوانه الانبابي والاشموني .

وحضر على العلامة الفقيه الصوفي الشيخ عبد الغني الرافعي قليلا من كتاب نيل الاوطار للشوكاني ، وكان الرافعي فقيه النفس مستقل الفكر ممتازاً بين فقهاء عصره بالجمع بين النبوغ في علوم الشرع والتصوف والادب ولي القضاء بولاية اليمن ، فكان إذا ظهر له رجحان مذهب الزيدية مثلا على مذهب الحنفية الذي نشأ عليه تحصيلا وعملا وافتاء وقضاء لا يمتنع من القول بترجيحه .

فكان السيد المترجم رحمه الله بما وهب من سلامة الذوق ، وقوة الاستعداد ، وتوقد الذهن ، وبما رأى أساتذته عليه « الرافعي » من فقه

النفس واستقلال الفكر ، و« التشابه » من حب الاستقصاء والتحقيق في العلم ، و« الجسر » من الوقوف على روح العصر ، وحالته العلمية والاجتماعية والسياسية والعناية بمطالعة الصحف والمجلات العالمية ، والاقتناع بحاجة المسلمين الى مجاراة الامم الغربية في العلوم والفنون التي عليها مدار العمران ، والقوة في هذا الزمان ، مع المحافظة على أصول الاسلام وهديه وآدابه ، لا جرم كان بكل هذه المزايا الموهوبة والمكسوبة عالما مستقلا مستدلا ، ظاهر الحجة قوي العارضة ، شديد المعارضة ، لا يقبل منقولاً لم يثبت دليله ، ولا معقولاً لم تستبن سبيله ، وكان له مع اساتذته بسبب هذا الاستقلال في العلم والرأي مواقف مشهورة وإليك مثالاً من موقفه مع أستاذه الجسر كما حكاه في مناره ، قال رحمه الله [1] :

لما طبعت الرسالة الحميدية أهداني نسخة منها ، ثم سألني بعد ايام هل قرأت الرسالة ؟ قلت قرأت بعضها ، قال انه يعجبني رأيك فكيف رأيتها قلت بعد الثناء عليها بالاجمال : انني انتقدت منها شيئين (أحدهما) التعبير عن المسائل العلمية القطعية التي تعتقدون صحتها ككروية الارض بما يدل على الشك او الانكار ، فاعتذر عن هذا بمراعاة عقول العوام والمتعصبين الذين يطعنون في دين من يقول بهذه المسائل ، فقلت اذا لم يتجرأ مثلك من الموثوق بعلمهم ودينهم على الجزم بهذه المسائل فمن يجزم بها ومتى يكون ذلك ؟

(والثاني) عدم تقسيم الرسالة الى أبواب وفصول يوضع لكل منها عنوان يدل عليه على نحو ما هو مفصل في الفهرس للتنشيط على المطالعة ، وسهولة المراجعة ، فقال : إن اتصال الكلام بعضه ببعض كالماء الجاري من حسن الانشاء وأساليب البلاغة ، قلت فلماذا جعل القرآن سوراً وهو أبلغ الكلام وافصحه ؟

ونتقل أيضاً مثالا آخر ، وهو مأثرة تاريخية للفقيد ، جمعت بين جمال

---

(١) المنار ج ٣ م ٢١

الوصف ، وإيثار الحق ، وانكار الأستاذ على تلميذه ، ولطف مراجعة التلميذ لأستاذه ، وهي مثل عال للمعلمين والمتعلمين نأثره بنصه من كتاب المنار والازهر كما حكاه المؤلف عن نفسه قال (ص ١٧١)

(أول حادثة لي في الانكار العاني) :

قيل لي : ألا تتفرج على مقابلة المولوية في تكيتهم التي تشبه جنة الآخرة في مكانها من ضفة نهر أبي علي ؟ قلت نعم ، فذهبت بعد صلاة الجمعة مع الذاهبين ، وكان أول افتتاح موسم هذه المقابلات من فصل الربيع فجلست في إيوان النظارة (المتفرجين) نمتع البصر برؤية جنات البرتقال ، والشم بعبير زهرها ، والسمع بخرير ماء النهر من تحتنا ، حتى اذا ما آن وقت المقابلة تراءى أمامنا دراويش المولوية قد اجتمعوا في مجلسهم تجاه ايوان النظارة ، وفي صدره شيخهم الرسمي ، وإذا بغلمان منهم مرد حسان الوجوه ، يلبسون غلائل بيضاً ناصعة كجلاليب العرائس ، يرقصون بها على نغمات الناي المشجية ، يدورون دوراناً فنياً سريعاً تتفرج به غلائلهم فتكون دوائر متقاربة ، على أبعاد متناسبة ، لا يبغي بعضها على بعض ، ويمدون سواعدهم ، ويميلون أعناقهم ، ويمرون واحداً بعد آخر أمام شيخهم فيركعون له ، قلت ماهذا ؟ قيل هذا ذكر طريقة مولانا جلال الدين الرومي صاحب المثنوي الشريف :

لم أملك نفسي أن وقفت في بهرة النظارة وصحت بأعلى صوتي بما معناه : « أيها الناس أو المسلمون : ان هذا منكر لا يجوز النظر إليه ، ولا السكوت عليه ، لانه إقرار له ، وإنه يصدق على مقترفيه قول الله تعالى « اتخذوا دينهم لهواً ولعباً » وانني قد أديت الواجب علي فاخرجوا رحمكم الله ، وخرجت من المكان راجعاً أدراجي الى المدينة مسرعا ، وفي أثناء المسير التفت فوجدت ورائي عدداً قليلا قد رجعوا ، وبقي الاكثرون لم

ينكروا عليّ ولا على القوم بقول ولا عمل ، ثم كانت هـذه الحادثة الغريبة حديث موضوع سمرهم مدة طويلة ، فمن عاذل وعاذر .

اتفق في تلك الايام أن دعاني رجل وجيه من معارف والدي الى سيران في بستانه مع شيخنا الاستاذ الشيخ حسين الجسر ، والشيخ عبد الله البركة واثنين آخرين من العلماء ، وهنالك سألني شيخنا عن الحادثة ، ولم يسألني عنها في المدرسة ، فذكرتها له باختصار ، قال : اني أنصح لك أن تكف عن أهل الطريق ، قلت هل لأهل الطريق أحكام شرعية غير الأحكام العامة لجميع المسلمين ؟ قال لا : ولكن لهؤلاء في سماعهم نية غير نية سائر الناس ووجهة إلى الله غير وجهتهم ، ومالك تخصهم بالانكار عليهم ، وان من أهل اللهو من يسمعون الاصوات والأوتار في ملاهيهم ، بل بلغني أن بعضهم يقامرون ليلا في قهوة العيوني ، قلت إن أهل الطريق ذنبهم أكبر من أهل اللهو ، لانهم جعلوا السماع المنكر ، ورقص حسان الغلمان عبادة مشروعة ، فشرعوا لأنفسهم من الدين ما لم يأذن بـه الله ، على أني لم أر منكراً آخر ولم أنكره ، وأنا غير مكلف أن أذهب في آخر الليل الى قهوة العيوني فاستفتحها لأرى ما فيها وأنكر عليه ، فلما اعييته ، قال : ان مذهبنا (يعني الحنفي) اشد من مذهبكم (الشافعي) في تحريم السماع ، ولكنني انصح لك أن لا تعترض على أهل الطريق !!

يتبع محمد بهجة البيطار



لغة المتنبي

أبو الطيب له ولع ودربة باستعمال الفصيح في شعره ونثره وسائر كلامه ، فاذا حاول العدول عن منهاج اللسان المضري القويم لم يستطع اليه سبيلا فما أصدقه في قوله :

وكلمة في طريق خفت أعربها فيُهتدى لي فلم أقدر على اللحنِ

من قصيدته التي مطلعها :

أفاضل الناس أغراض لذا الزمن يخلو من الهم أخلاهم من الفطن

فالمتنبي يستسهل بذل نفسه في سبيل صيانة لغته التي يفديها بروحه ، وكأنه يقول : لابارك الله في الحياة بعد ضياع اللغة . من أجل ذلك رأى ارتكابَ ما فيه خطر على حياته أهونَ من ارتكاب ما فيه خطر على لغته . وفي البيت مسألتان : (خفت أعربها) من الفعل المضارع ، وتحريك حاء (اللحن) اتباعا للام وشاهدالاول قوله تعالى « أفغير الله تأمروني أعبد » أي أن أعبد ، وقول طرفة ابن العبد :

ألا أيها ذا الزاجري أحضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

أي أن أحضر الوغى ، ومن هذا القبيل قولهم : مره يحفر بئراً أي أن يحفر ، وقولهم : خذه قبل يأخذك أي قبل أن يأخذك ، وتسمع بالمعيدي خير من أن تراه أي أن تسمع . والمتنبي كسائر فصحاء الكوفيين كثيراً ما يستعمل ذلك في قوله :

ونوقدت أنفاسنا حتى لقد أشفقت تحترق العواذل بيننا

وقوله :

وما تسع الأزمان علمي بأمرها ولا تحسن الأيام تكتب ما أملي

وقوله أشفق عند اتقاد فكرته عليه منها أخاف يشتعل

وقوله في ثياب أهديت اليه:

أقر جلدي بها عليّ فلا أقدر حتى الممات أجحدها

ويسوغ أن يعود الفعل المضارع مرفوعا مع إضمار أن قبله لأن الحرف عامل ضعيف ، فاذا أضمر زال أثره ولم يقو على الظهور ، كما يسوغ أن يبقى منصوباً باعتبار ان المقدر كالثابت وعليه قول المتنبي :

توقهُ ومتى ما شئت تبلوَه فكن معاديَه أو كن له نشبا

في التي مطلعها :

دمعي جرى فقضى في الربع ما وجبا

وقرئ كما في الكشاف للزمخشري (أعبد) مرفوعا وقرئ منصوباًفي سورة الزّمر من قوله تعالى : « أفغير الله تأمروني أعبد »

وأما تحريك حاء اللحن بالفتح اتباعاً للامها فهو من قبيل تحريك الهاء في نهر وزهر ودهر . قال أبو النجم :

يا جبلا طال معداً فاشمخر اشمّ لا يسطيعه الناس الدَهَر

قال ابن منظور في لسان العرب : إما أن يكون الدهر والدهر لغتين كما ذهب اليه البصريون في هذا النحو فيقتصر على ما سمع منه ، وإما أن يكون ذلك فكان حروف الحلق فيطرد كما ذهب اليه الكوفيون اه ، والمراد من اللحن في بيت أبي الطيب الخطأ في الكلام والعدول عن سنن الصواب فيه ، ولم يرد شيئاً من معانيه الاخرى كاللغة والفهم والفطانة والالغاز والتعريض والغناء والتطريب ، وان كان لفظ اللحن مشتركا في ذلك كله . إن أبا الطيب في تمسكه بعربيته والتزامه فصحاها لهجةً وألفاظا مطبوع يجري في ذلك على مقتضي طبعه ، فهو من أشبه الناس بالاعرابي الذي كان الترافع اليه ليكون

حكما بين سيبويه والكسائي فلم يستطع أن يلحن فيقول : فاذا هو اياها ولكن استطاع أن يكذب فيقول : الحق مع الكسائي ولو اكره على التلفظ بالنص المتناقش فيه لظهر أن الحق مع سيبويه ، لان لسانه لا يجري حينئذ الا بقوله : فاذا هو هي ، على ماذهب اليه سيبويه ، فكان احتمال عار الكذب عنده أهون من احتمال عار افساد لغته الفصحى الجميلة التي بها جاء أحسن الحديث وحياً ، كلما زدته تلاوة زادك حسنا وطلاوة . وليس أبو الطيب بدعا في عشقه لغة مضرية تجلت له من عرائسها :

وجوه لا تزال تزيد حسنا　　لمثل جمالها خلق الغرامُ

ومن أشباهه في الشنشنة ذلك الامير جبلة بن عبد الرحمن الذي كان يكتب باللسان المبين اسماء الاطعمة التي يريدها في رقاع يبعث بها الى طاهيه ، وكان هذا لا يقدر على الاستقلال بفهمها لضعف عربيته فيراجع ابن أبي إسحاق الحضرمي أو يحيى بن يعمر العدواني للاستيضاح عما كتبه له سيده جبلة في تلك الرقاع ، فاذا عرف ما فيها من أنواع الاطعمة أتاه به ، وكان من أجل ذلك يبطيء عليه في إحضارها فقال له :

ويحك أيها الطاهي ما بالك تبطيء كأنك تريد بإبطائك أن تحماني على الصيام ، فقال له الطاهي : سهّلْ كلامك أسهلْ طعامك ، فقال له سيده : يابن اللخناء أفأدع عربيتي من أجل عيّك .

ولصحة الطبع في اللغة كان لفصحاء العهد الجاهلي وصدر الاسلام أعلى مقام بين طبقات أمراء الكلام ، وهيهات أن تظهر عبقرية البيان الا بسلامة الذوق وطلاقة اللسان ، ولقد أصاب المحز وطبق المفصل من قال :

نعم عون الفتى اذا طلب العلـ　　ـم ورام الآداب صحةُ طبع

فاذا الطبع خانه بطل السعـ　　ـي وصار العناء في غير نفع

وقال المتنبي :

أبلغ ما يطلب النجاح به الطبـ　　ـعُ وعند التعمق الزللُ

لاجرم أن لهؤلاء المطبوعين في كلامهم أن يعجبوا ممن يلحن ويتهاون

بالاعراب ويحيد في كلامه عن سنن الصواب كالاعرابي الذي كان يقول :
عجبت للتجار الذين يلحنون فيستطيعون مع لحنهم أن يربحوا في متاجرهم، وكالذي سمع بعض الخلفاء في العهد العباسي يلحن في كلامه فقال : لولا القضاء والقدر لما قدر أن يكون هذا خليفة ، ولكن قدر فكان ، وليس بضائر فارس الطخرور أبا محمد وشعره شعره قول ابن خالويه فيه : إنه لم يكن يعرف أن البعير يستعمل بمعنى الحمار ، كأنه انفرد بمعناه ولم يحوه سواه .

عبد القادر المبارك



=« احتمال السخف أولى من الجهل بالعربية »=

أبو هاشم عبد السلام الجبائي من أئمة المعتزلة ، كان يأخذ علم النحو عن المبرد ، وكان في المبرد سخف ، فقيل لأبي هاشم : كيف تحتمل سخفه ؟ فقال :
— رأيت احتماله أولى من الجهل بالعربية ! !

(انظر ص ٥٦ من رسالة المعتزلة لاحمد بن يحيى المرتضى ، طبع حيدر آباد الدكن)

خطاب الاستاذ عز الدين التنوخي

كاتب سر المجمع العلمي العربي

باسم المجمع العلمي أشكر لكم عنايتكم بحضور هذه الحفلة المباركة ، حفلة تنظيم دار الكتب الظاهرية ، ذات الفضل العظيم على دمشق مدينتنا الخالدة وعلى سائر البلدان العربية ، وهي لعمر الحق جديرة بأن نحتفل بعيدها الخمسيني أو الستيني لمرور نحو من ستين عاماً على إنشائها ، ولعل هذه الحفلة تكون ممهدة لذلك العيد العلمي الميمون ، ويكون يومئذ قد مضى على تأسيس المجمع العلمي عشرون سنة فنحتفل بعيده العشريني وعيد المكتبة الخمسيني معاً احتفالا شعبياً يشترك به نواب المعاهد والمجامع والجامعات العلمية العربية والاجنبية ، ويدعى اليه علماء المشرقيات في ديار الغرب ، وجلهم من أعضاء مجمعنا الذين يستسنحون الفرص لزيارة دار الشام عامة ودمشق حاضرتها خاصة وفي ذلك ما فيه من إعلاء لشأن أمتنا العربية ودولتنا الناهضة الفتية .

إن هذه الدار التي نحن مجتمعون الآن في صحنها كانت تعرف بالمدرسة الظاهرية الجوانية ، وهي بقية ثلاث مئة مدرسة كانت عامرة في القرون الوسطى بالعلم والأدب في مدينتنا هذه العظيمة ، و كانت مدرسة للحنفية والشافعية يدرسون فيها الحديث وعلومه ، وقد أنشأها الملك الظاهر بيبرس البندقداري ودفن فيها هو وابنه الملك السعيد سنة ٦٧٦ هـ ، ولا تزال على هذه المدرسة

---

(١) انظر وصفها في باب (الآراء والاخبار) من هذا الجزء

مسحة باقية من جمالها القديم يبدو في موضعين منها : في مدخل الظاهرية الجميل ، فان الداخل يمتع ناظريه بهندسته العربية الرائعة ومقرنصاته المتهدلة ويشاهد في زاوية المدخل اليسرى اسم مهندسها العربي « ابراهيم بن غانم » ، والموطن الثاني لهذا الجمال هو القبة الظاهرية التي دفن تحتها هذا الملك الشامي المجاهد ودفن الى جانبه ابنه الملك السعيد ، إن هذه القبة لتمتاز على قبب الشام كلها ، ولعلها نادرة القبب في بلاد العرب ، بما ازدانت به من أصناف الرخام الملون الجميل ، فقد ركبت ألواحه على جدرانها بتراكيب هندسية عربية ، كما أن هـذه القبة بفسيفسائها اللامعة ونقوشها الشجرية الفاتنة التي لاعيب فيها غير أغصانها وكمال اتقانها .

وكان لكل مدرسة في دمشق خزانة كتب خاصة تشتمل على نفائس الكتب وكثير منها بخطوط مؤلفيها ، ثم بلغ من اهمال العلم في دمشق أن أمسى قوّام هذه المدارس للفقر وقلة الراتب وضعف الشعور بالواجب يبيعون هذه المخطوطات ، وأقبل الاجانب من قناصل ومستشرقين يشترون تراث السلف بابخس الاثمان ، مما ألقى في روع عالم الشام وباعث نهضتها العلمية الشيخ طاهر الجزائري أن يجمع شتات هذه المبعثرات من خزائن الكتب ويضعها في القبة الظاهرية ، فأشار على الوالي بذلك وهو حمدي باشا فألف سنة ١٢٩٦ للهجرة لجنة خاصة جعل رئيسها العلامة السيد علاء الدين عابدين ، فجمعوا هذه الكتب من عشر مدارس ووضعوها في خزائن كبيرة تحيط بضريح الملك الظاهر الذي عاش في حياته تحت ظلال السيوف البواتر ، ودفن بعد مماته تحت ظلال الكتب والدفاتر ، ومع أن القائمين على هذه الكتب المجموعة قد خصصت لهم مرتبات ليحسنوا القيام عليها ، لم ينتفع الناس بها الانتفاع المنشود ، وظلت نصف مسبلة في الخزائن المقفلة ، ولكنها حفظت من النهب والضياع ولا سيما بعد طبع فهرسها الجامع لمخطوطاتها ومطبوعاتها ، وبقي أمر الخزانة الظاهرية على هذه الحال الى أن وسدت الحكومة أمر الولاية عليها الى المجمع العلمي العربي يوم انشائه في سنة ١٩١٩ ؛ وكان يومئذ في المدرسة

الظاهرية القديمة مدرسة ابتدائية تعرف بانموذج الملك الظاهر ، فبذل المجمع قصارى جهده لنقل هذه المدرسة الى بقعة أخرى من المدينة ، لأن صياح الصبيان وضجة حركاتهم المقلقة تعكر صفو المطالعة ، وتضعف حب البحث والمراجعة ، وقد توفق المجمع بأخرة وانتقلت المدرسة الجديدة من القديمة ·

وكان من الوفاء للشيخ طاهر الجزائري الذي له اليد البيضاء على الخزانة الظاهرية أن يقلّد الولاية عليها ، فسماه المجمع مديراً عاماً لها وظل يديرها الى أن استأثر الله به ، وجدير بالحكومة إذا أشادت دار كتب عامة لدمشق أن نقيم له تمثالاً في ساحتها كما يجمل بنا أن نسمي حجرة المخطوطات بالخزانة الظاهرية تيمناً باسمه الخالد الميمون ·

ورغبة في زيادة كتب الخزانة الظاهرية أرسل المجمع العلمي إلى مصر خليفة الشيخ طاهر في منصبه وهو الشيخ حسني الكسم الذي استفرغ في مصر مجهوده مستهدياً للخزانة الظاهرية مطبوعات المؤلفين والكتبيين فحمل اليها مجموعة مباركة تتألف من ١٦٠٠ مجلد ملأت عشرة صناديق ، منها ما أهدته دار الكتب المصرية ، والمكتبات التجارية ، ومنها ما أهداه كبار المؤلفين والناشرين أمثال السادة رشيد رضا وأحمد الاسكندري ومحمد الخضري وأحمد تيمور ورفيق العظم وخير الدين الزركلي ·

أما العلامة أحمد تيمور فقد أهدى علاوة على الكتب مجموعة نفيسة من المسكوكات القديمة تشتمل على ٤٨٢ قطعة من ذهبية وفضية ونحاسية وزجاجية ومن خواتم قديمة نقش بعضها على جواهر كريمة ، وهي اليوم محفوظة في قبة التربة العادلية ·

وحسبنا أن نوجز القول بأن كتب الخزانة الظاهرية كانت يوم تولى المجمع عليها تشتمل على ٤٠٠٠ مخطوطة وقليل من المطبوعات ، فأصبحت في يوم الناس هذا تشتمل حناياها على ٢٥٠٠٠ مجلد ما بين مخطوط ومطبوع ،

فضلا عن المجلات المختلفة اللغات ، وفيها من الكتب الفرنسية والانكليزية والالمانية ما يفيد المراجعين والمطالعين .

وقد أهدى اليها قبيل وفاته المؤرخ الدمشقي الكبير المرحوم رفيق العظم خزانة كتبه ، ومثل هذه المأثرة النبيلة قد فعل الشيخ عبد الله الكزبري من بيوتات العلم بدمشق ، فحفظت الظاهرية كتبهما في خزانتين خاصتين ؛ ويتسع بي مجال المقال جداً إذا أردت أن أسرد على مسامعكم أسماء جميع الذين أعانوا دار الكتب الظاهرية بالمخطوطات والمطبوعات كالشيخ سليم البخاري والشيخ محمد بهجة البيطار ، والشيخ أحمد فهمي العطار ، والأمير طاهر الجزائري وأمثالهم جزاهم الله خيراً .

وقد أراد المجمع العلمي أن يتم تنظيم دار الكتب الظاهرية على نمط التنظيم الأوربي الحديث ، فأوفد إلى باريس الأستاذ يوسف العش ليدرس في مدرسة السجلات Ecole des Chartes أصول ترتيب الكتب وتنظيم دورها فمكث ثلاث سنوات أخذ في آخرها شهادتها ، ثم زار بعد ذلك خزائن كتب فرنسة في أشهر مدائنها مثل ليون وديجون وأفينيون وبوردو وطور وغرنوبل وغيرها ، وسيبيّن لكم طريقة التنظيم[1] التي اختارها لدار الكتب الظاهرية ثم يعرض على أنظاركم في آخر هذه الحفلة هذه الطريقة التي سهلت سبيل المطالعة ويسرت أساليب المراجعة للمطالعين والمراجعين جميعاً .

هذه هي بعض أعمال المجمع العلمي في دار الكتب الظاهرية ، ولم يغفل الاهتمام بنشر اللغة العربية في سائر البلدان الشامية ، فاهتم بحلب حاضرة الادب على عهد الدولة الحمدانية فافتتح فيها فرعه الحلبي في تشرين الأول من سنة ١٩٢٣ مختاراً له من أعضائه أفضل علماء حلب المعروفين بخدمة اللغة العربية ، وأنشأ لفرع المجمع العلمي هذا خزانة كتب يرجع اليها الباحثون ، وأرسل اليها في طليعة المرسلات مجموعة من الكتب العربية والتركية والفرنسية تشمل على

(١) أنظرها بعد خطابه المنشور في هذا الجزء

ألف مجلد ، وعهد مجمعنا الى العلامة الشيخ كامل الغزي بأن يتولى مع إخوانه الأعضاء إدارة هذه الخزانة الحلبية .

وأما أنطاكية عاصمة الشام الأولى فقد خشي المجمع العلمي من بغي اللغة التركية على العربية ، وأراد أن يشد أزر لغتنا القومية في تلك الربوع لتثبت على نوائب الدهر ، ولاجل تحقيق ذلك اختار أحد أعضائه في أنطاكية وهو العلامة الشيخ محمد زين العابدين وعهد اليه أن ينظم سجلا بخزائن الكتب التي لا تزال محفوظة في بعض مدارس أنطاكية وجوامعها ، وأرسل اليه مجموعة كبيرة من الكتب العربية ، كما أرسل مثل ذلك مجموعة كتب إلى الزبداني ، ومثلها إلى جبل الدروز بالأمس وجبل العرب في هذه الأيام.

والمجمع العلمي العربي أول معهد عُني في دمشق بآثار البلاد فأنشأ وصنع على عينه دار الآثار الدمشقية ، وكان فاتحة أعماله في هذا السبيل أن أوفد أول بعثة أثرية كنت من أعضائها الى تدمر وحمص ، فحمل إلى دمشق كثيراً من نفائس الآثار منها رأساً حثياً كبيراً من الصخر البركاني الأسود عثر عليه في حديقة حمص ، ويعتبر هذا الرأس في رأس الآثار الحثية المفيدة ، وعلم المجمع العلمي بوجود كثير من العاديات والتحف الأثرية القديمة في منازل الوجوه والاعيان فاستهداهم كثيراً منها ، وبذلك تكاثرت الاثار القديمة في صحن العادلية وغرفها ، وأيقن المجمع أنه لا قوام للاثار إلا بإرسال طالب علم الى باريس ليدرس فيها على أساتذتها أصول علم الاثار واللغات السامية القديمة ، فأرسل للتخصص بذلك الأمير جعفر الحسني فقام بالمهمة العلمية التي أوفد إلى باريس من أجلها خير قيام ، وبعد نيل شهادته الأثرية عاد الى دمشق وشرع ينظم آثارها ، وتزايدت هذه الاثار الى أن أصبحت دار المجمع أو المدرسة العادلية لا تستوعب جميع معروضاتها ، فظل كثير من نفائسها مخبوءاً في الصناديق فشرعت دولة الجمهورية السورية في بناء دار آثار لها ستكون من أجمل أنواعها في الشرق إن شاء الله .

أما دار المجمع العلمي العربي فقد كانت من أرقى مدارس العلم بدمشق

وتعرف بالعادلية الكبرى نسبة للملك العادل سيف الدين شقيق الملك الناصر صلاح الدين الايوبي ، وقد بدأ بانشائها سنة ٦٥٨ للهجرة نور الدين محمود زنكي وبعد وفاته بنى الملك العادل بعضها ثم توفي ودفن في تربتها الموجودة ، فأتمها ولده الملك المعظم ؛ وقد افتتحت للتدريس في يوم مشهود حضره السلطان المعظم ووجوه دولته وكبار العلماء والاعيان ، فالقى فيها درس الافتتاح القاضي جمال الدين المصري ، وممن درس بها قاضي القضاة بهاء الدين السبكي وامام النحاة ابن مالك الذي كان يسكن داره حارسها اليوم وكان يقف وينادي على بابها لتأدية أمانة العلم : هل من طالب علم ، هل من قارئ نحو ؟ وفي العادلية كان يقيم مؤرخنا العظيم ابن خلكان وله فيها ذكر وعبر ، وفيها أتم النعيمي تأليف كتابه (الدارس في المدارس) الذي يبحث عن مدارس دمشق إبان نهضتها .

وكان آل المنيني يقطنون هذه المدرسة الشافعية الكبرى بحق الولاية عليها فسعت الحكومة الفيصلية لتحرير العادلية للبحث العلمي ، وبهمة حاكمها العسكري السيد رضا الركابي الذي كان أكبر العاملين على انشاء المجمع العلمي وداري الكتب والآثار ، أعطت الحكومة الى آل المنيني مبلغ ٢٠٠٠ ليرة مصرية لينزلوا لها عن حق التولية ، ثم أنفقت لترميم العادلية على الاسلوب العربي مبلغ ٢٥٠٠ ليرة مصرية فتماسك بنيانها كثيرا ، حتى أصبحت تصلح لاجتماع أعضاء المجمع ومناقشاتهم ومحاضراتهم العامة .

ان المجالس الاسبوعية التي كان يجتمع فيها الاعضاء ليتناقشوا في الاوضاع الادارية والمصطلحات العلمية هي من أعمال المجمع العلمي المباركة التي ساعدت كثيراً على انتشار اللغة الفصحى ورسوخها ، ومثلها المحاضرات العامة التي كان يلقيها الاعضاء على الرجال والنساء ، بله كان يرسل بعض أعضائه لالقاء المحاضرات في غير دمشق من البلدان الشامية .

وكان المجمع يقيم حفلات التكريم أو التأبين لمشاهير علماء الاقطار العربية الذين خدموا العربية نثراً وشعراً ، سواء أكانوا من أعضاء المجمع أم من غير أعضائه ، وفي ذلك ما فيه من التنشيط والتقدير وتوثيق أواصر الوحدة العربية العلمية والقومية جميعاً ، ومن هذه الحفلات الاعياد الادبية القومية كمهرجان أبي الطيب المتنبي الذي جمع من شمل الامة العربية باجتماع كثير من علمائها وأدبائها ، وبث في فتيان الامة روح الاجلال لادبائهم الخالدين ، وزاد كثيراً من الابحاث المتنبئية شرحاً وتفصيلا ٠

والمجمع العلمي هو المقترح الاول لانشاء كلية الآداب التي خرجت على ضيق ملاكها كثيراً من الادباء والمعلمين فسدت بذلك ثلمة واسعة كانت الحاجة حاقة إليها ٠

ومن أظهر أعمال المجمع العلمي انشاء مجلته العلمية التي تعنى بالابحاث الادبية من لغوية وتاريخية ، وقد بلغ عدد مجلداتها السنوية خمس عشرة مجلدة نضلا عن الرسائل الادبية التي بعثها بالنشر من مرقدها وعددها يزيد على عشر يرى قارئ المجلة اسماءها على غلافها ٠

ومن أعمال المجمع العلمية استنساخه لنوادر المخطوطات المخدومة من خزائن دمشق والاقطار العربية والغربية إتماماً لمجموعة المخطوطات الظاهرية ، ومنها تيسير السبيل على العلماء والمستشرقين ليتمكنوا من معارضة المخطوطات التي يريدون نشرها على مخطوطاتنا ، ومساعدتهم بذلك على تصحيح ما في خزائنهم من آثارنا العربية ٠

وكثيراً ما ساعد المجمع العلمي المؤلفين في دمشق على تصحيح كتبهم العلمية والمدرسية قبل طبعها ، وكثيراً ما درب أفاضل الشبان على أصول البحث العلمي فاصبح منهم الكتاب والمؤلفون ٠

ومن الذرائع التي توسل بها المجمع العلمي لتنشيط روح البحث والتأليف في بلادنا توزيع (الجوائز العلمية) على المجلين من المتسابقين في الابحاث

المطلوبة ، اذكر على سبيل المثال منها : جائزة السيد فخري البارودي لمن يضع أمثل كتاب في تسهيل الهجاء ، وجائزة السيد محمد سعيد اليوسف لمن يؤلف أحسن كتاب في تقدم البلاد السورية ، وجائزة السيد خالد العظم لمن يصنف أفضل كتاب في التربية .

وقد رأى المجمع العلمي أن دار الكتب الظاهرية ينقصها آلة لتصوير الكتب تصويرا شمسيا أسوة بدور الكتب الراقية في ديار الغرب فاشترى آلة من أتقن آلات التصوير وشرع يصور للعلماء والمستشرقين ودور الكتب الجامعة ما يُحتاج اليه من مخطوطات الظاهرية ، والتصوير أصح في نظر العلماء من النسخ لأن الآلة تنقل المخطوطة كما خطها كاتبها نقلا تاماً لا مسخ يمازجه ولا تصحيح يطرأ عليه ، أما النسخ اليدوي فما يتهم ولا يطمئن قلب المحقق اليه ، وكثيراً ما كان الناسخ ماسخا .

والمجمع العلمي عازم على طبع كتاب جليل يعتبره العلماء مع كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر من مفاخر دمشق ، وهذا الكتاب (الدارس في المدارس) للنعيمي يبحث عن مدارس دمشق في عصور نهضتها العلمية . وعن أوقافها ومدرسيها ومن تخرج فيها من العلماء والادباء مع تراجم المشهورين منهم ، وقد اشترى المجمع العلمي جميع ما يحتاج طبع هذا الكتاب اليه من الورق الجيد ، وهو لا يزال يعد بقية العدد لاكمال ضبطه وتسهيل طبعه قريباً .

وقد أشاد المجمع العلمي بذكر دمشق ونهضتها العلمية ، وأكسبها والدولة السورية التي هي عاصمتها اسما ممجدا وشرفا مخلدا ، فان علماء الامم الغربية الراقية ولا سيما المستشرقين منهم وأكثرهم أعضاء المجمع العلمي العربي قد أصبحوا يلهجون باسمه ويرسلون الى مجلته بابحاثهم العربية ويدعونه الى مؤتمراتهم العلمية ، فكل ما أنفق على المجمع

العلمي من المال لا يبلغ معشار ما نالته دمشق من حسن الاحدوثة وجميل الذكر .

هذا والمجمع العلمي العربي الذي عاش في الحكومات السابقة ولم تجرأ على أن تصيبه بأذى لايخشى عليه على عهد هذه الدولة العربية التي يعزف رجالها بجهادهم في سبيل العروبة ، لا سيما والقائم اليوم على شؤون المعارف من بينهم هو الطبيب والعالم الاديب السيد عبد الرحمن الكيالي الذي ما فتئ يبذل جهده في معالجة قضية المجمع العلمي ، ومن أحرى من الطبيب بتشخيص الداء ووصف الدواء والسلام .



تطور دور الكتب العربية العامة

منذ نشأتها حتى اليوم (١)

إن في تطور دور الكتب العربية خلال التاريخ منذ نشأتها حتى اليوم شاهداً على أنها تمشت جنباً إلى جنب مع حاجات العصور وقامت بسمتها الثقافية وفقاً لتلك الحاجات ٠

خرج العرب من جزيرتهم وليس بين أيديهم من كتاب إلا القرآن الكريم فراحوا يخترقون البلدان فاتحين معتمدين على هذا الكتاب يجدون فيه ما يطلبون ولكن لم ينقض زمن طويل عليهم حتى دعاهم ذكاؤهم الفطري الى دراسة العلم ومعرفة أخبار المتقدمين وآثارهم فأقبلوا على كتب الاقدمين وشرعوا يترجمونها الى لغتهم ووصل بهم الامر في ذلك الى فتح دار للترجمة منظمة عليها حفاظ وكتاب ومترجمون وكان ذلك في عصر هارون الرشيد ٠ سميت هذه الدار بدار الحكمة او بيت الحكمة ، والحكمة تشمل علوم الاقدمين العقلية أي الفلسفة بفروعها والطبيعيات والرياضيات ٠ أحدثت هذه الدار كما قلنا للترجمة ولكن الترجمة لا تكون إلا من الكتب ولا تكمل وتحسن إلا إذا كان هنالك ما يساعد المترجمين على فهم الكتب التي يترجمونها ، أي إذا وجد مع الكتب المترجمة كتب تشرحها أو تعلق عليها او تقاربها بالمادة

(١) كلمة محافظ دار الكتب الظاهرية السيد يوسف العش وهي خلاصة أطروحة يؤلفها ليقدمها في هذه السنة الى جامعة الصوربون بباريس ٠

والبحث ، فكان على من أوجد دار الحكمة أن يؤهلها بكتب الحكمة ، وكان ذلك ؛ فقد غنم هارون الرشيد في واقعة عمورية مقداراً كبيراً من كتب الأقدمين أضافه إلى ما كان عنده من كتبهم ، وكوّن بها جميعا دار الحكمة ؛ فتلك الدار قد جمعت إذن قبل كل شيء كتباً وتكونت فيها خزائن للكتب ، فكانت أول مكتبة عربية أمّها القراء والمطالعون والنساخ مستفيدين كلٌّ في ناحيته من كتبها سواء منها العربية المترجمة أو الأجنبية غير المترجمة أو العربية الخالصة .

فدور الكتب العربية إذن نشأت نشأتها الاولى على شكل دار للترجمة جُمعت فيها الكتب وهيئت للعلماء والبحاثين .

ومازال الامر على ذلك حتى كثرت الكتب المترجمة وعمّت وانتشرت وأصبحت مُهمة دور الكتب ثانوية ، فكان من الواجب إذن أن يحل محلها شيء آخر ، وماذا يكون هذا الشيء ؟ إن الكتب والمؤلفات العربية كانت قد أخذت في الانتشار في ذلك العصر انتشاراً كبيراً ، وموضوع الكتب العربية هو العلم العربي حقاً ، والعلم عند العرب الدين والأدب والتاريخ ، فكان من الواجب إذن أن يكون هناك دار للعلم ، وقد تم ذلك فان سابور ابن اردشير أنشأ داراً للعلم في بغداد وأنشأ الحاكم بأمر الله مثلها في القاهرة ، وبنو عمّار على نحوها في طرابلس ، وأنشئت أمثالها في البلدان الأخرى . وكانت الغاية الاولى من هذه الدور حفظ كتب العلم الأصلية وعرضها للمطالعة ، ولكن حصل آنذاك شيء أضيف إلى صفتها هذه صفة ثانية صفة المدارس ، فكان يلقى فيها دروس في العلم والذي أضاف اليها صفة المدرسة أن الناس كانوا فى حاجة كبيرة إلى الدرس على أساتذة عالمين ، وأصبحت المساجد تضيق بالدروس ، ولم يكن هنالك بعد مدارس فأقبل الناس مضطرين الى دور العلم يتلقون فيها الدروس عدا عن قراءتهم فيها للكتب وذلك أمر طبيعي

لامكان للاستغراب منه ، على أنه فريد في نوعه .

وبعد أن أنشئت المدارس في البلاد العربية وانتشرت أي بعد انتهاء القرن الخامس شرعت دور العلم في الاختفاء ، وظهر مكانها دور الكتب بمعناها الحقيقي ، ووافق هذه الحركة توسع العلم وانتشاره بين معظم طبقات الشعب فكان من الواجب إذن أن تخصص له وسائط عامة ، وكان الأمر كذلك في في هذه الدور ، فكان يرى في كل بلدة عدد كبير منها منتشراً في الاحياء المختلفة يعمل على تثقيف الشعب وانماء مداركه .

ولكن يا للاسف لم تدم هذه الحركة طويلا فقد قضى التتر الفاتحون على هذه الدور وأحرقوها ودمروها وعاثوا فيها فساداً ، ولم يشأ الحكام الذين استولوا على البلاد بعد هذه الفتوح أن يعم العلم مرة ثانية في طبقات الشعب ، فالعلم نقمة على الظالم تضرب على يده مهما كانت قوية ولم يكونوا بقادرين على أن يقضوا على العلم قضاء تاماً ، لأنهم دخلوا في الاسلام ، ولأن الجهل مهما بلغ بالناس فلا يأتي على عقيدتهم الراسخة ، فاضطُروا إلى حصر العلم بطبقة خاصة من الشعب يغدقون عليها إنعامهم فتبقى وفية لهم ، فأنشأوا المدارس الدينية ، وكذلك شرعت دور الكتب في الاختفاء ملتجئة إلى هذه المدارس التي كانت قسماً منها في السابق ، ومنذ ذلك التاريخ أي من أوائل القرن الثامن أصبحت لا تجد مكتبات عامة إلا في المدارس ، ودام الامر على ذلك حتى أواخر القرن الماضي .

وفيه شرع في إنشاء دور كتب عامة ووافق ذلك نهضة حديثة شرعت تنتشر في بلاد العرب قاضية على ظلام الجهل : ولكننا رغم ذلك لا نزال نشاهد دور كتب عظيمة الأهمية محصورة في مدارس قديمة هي تراث الماضي ، على أن التطور الذي ذكرناه سوف يقضي عليها حتما ويجعلها تلتجيء إلى دور الكتب العامة ، ففيها تظهر قيمتها وفيها يقبل عليها الباحثون بالدرس والتمحيص والنشر .

إن دور الكتب العربية كما ترى سارت مع روح العصر ووافقته موافقة

تامة وقامت بما عليها حق القيام ، فمن دار للحكمة نشرت علوم الأقدمين ، وأتت عليها بالترجمة إلى دار للعلم أساس أمرها الكتب والمطالعة ، ولكنها لم تخل من التدريس ، إلى دار كتب عامة بمعنى الكلمة ، ومنها التجأت إلى المدارس لتكون الاساس للمدرسين يسترون بها جهلهم ويعتمدون عليها في إلقاء دروسهم ، ومن ثم عادت الى حياتها الاستقلالية فشكلت لنفسها كياناً خاصاً ، واستعادت اسمها القديم : دار الكتب .

إن بحثنا هذا يقودنا إلى ان نقول بأن دور الكتب التي أسست في عصرنا هذا والذي قبله هي تراث الماضي لا تختلف عن المدرسة بشيء ، وقد يعتاض بالواحدة عن الأخرى وتتبادلان بالخدمة فهي لذلك ولنتيجة التطور الذي وصلت اليه مدعوة إلى خدمة كبرى ، إلى عمل قومي فيه تثقيف مختلف طبقات الشعب ، فهي عامة قبل كل شيء ، ولا يتم تثقيف هذه الطبقات الا بها ، فيجب علينا إذن أن نؤهلها إلى هذا العمل وأن نهيء الأسباب لتقدمها وأن لا نشل حركتها ، وبذلك نكون قد برهنا أننا أمة تغتنم الفرص وتسير مع التطور ولا تقبل الخذلان في مادة العلم .

التنظيمات الجديدة لدار الكتب الظاهرية

رواد دار الكتب الظاهرية قسمان : قسم منهم يأتي للتعلم وقراءة الكتب ، وآخر لدراسة بعض المواد التي يودون الكتابة فيها ، أو بمعنى آخر ، قسم منهم طالب للعلم ، وآخر ناشر له . وعلى ذلك كان لا بد من أن يخصص لكل منهم مكان خاص وفهارس خاصة تتفق مع غايتهم ودرجة معرفتهم ، وهذا ما عنينا بتحقيقه في التنظيمات الجديدة التي أدخلناها على دار الكتب الظاهرية فقد أنشأنا في هذه الدار قاعتين مختلفتين : قاعة عامة للمطالعة ، وأخرى خاصة بالمؤلفين والبحاثين .

نظمنا للقاعة العامة فهرسين : أحدهما بأسماء الكتب مرتب على حروف المعجم ، والآخر مرتب على مواضيع العلوم ، اقتصرنا فيه على ذكر الكتب الحديثة والمهمة التي تتفق مع ثقافة التلميذ وثقافة جمهور الناس . وقد حصرنا فيه مواضيع العلوم حصراً ضيقاً لكيلا يتشتت بها فكر المطالع الذي لم يعتد بعد المراجعات العلمية .

أما قاعة التأليف (هكذا سميناها) فقد وضعنا لها فهرسين : أحدهما بأسماء المؤلفين مرتب على حروف المعجم ، وثانيهما مرتب على مواضيع العلوم بصورة مفصّلة جداً نشرنا أصنافها وموادها في كتاب خاص مطبوع سميناه « تصنيف العلوم والمعارف العربية »

والعلوم مقسمة في هذا التصنيف الى ٥٣ صنفاً أصلياً ، كل صنف منها مقسم بالتالي إلى مواد خاصة ، لكل منها رقم مشكل على عددين : أولهما رقم الصنف الذي تنتمي اليه ، وثانيها رقمها الخاص حسب ترتيبها العددي في صنفها ، فالمادة الأولى من الصنف الاول رقمها مثلا (١ — ١) ، والمادة الثالثة من الصنف الرابع رقمها (٤ — ٣) وهلم جرا . ولسهولة الرجوع الى هذا التصنيف ذيلناه بتعداد مفصل لمواضيع العلوم على الترتيب الأبجدي ، ذكرنا فيه أمام كل موضوع منه رقم المادة التي ينتمي اليها من التصنيف ، وهكذا فقد أصبح من السهل معرفة المادة من التصنيف التي تحتوي بحثاً خاصاً يراد الرجوع اليه ، وذلك بالتفتيش عن اسم هذا البحث في التعداد المذكور ، ومتى عثر على اسمه عثر على رقم المادة التي يدخل فيها .

فهذا التصنيف مع ذيله (فضلا عن كونه مفيداً في تنظيم دار الكتب على أساس علمي) هو مفتاح لفهارس دار الكتب الظاهرية المرتبة على المواضيع ، إذ أن الفهارس محررة على أوراق تضم وترفع حسب الحاجة في دفاتر مجلدة بطريقة خاصة تتفق مع هذه الغاية ، وقد اتبعنا في تنظيمها ، كما ذكرنا سابقاً مواد التصنيف المطبوع وأرقامه ، فأصبح من السهل اذن الانتقال من التصنيف أو من ذيله المرتب على الحروف الأبجدية الى فهارس الدار مباشرةً بواسطة

الارقام التي هي نفسها في مواد التصنيف وذيله ، وهي نفسها أيضًا في أوراق فهارس الدار ، وعلى ذلك فقد جمعنا بهذه الصورة بين طريقة الفهارس المرتبة على مواضيع العلوم وبين طريقة الفهارس التحليلية المرتبة على حروف المعجم لمواضيع العلوم والتي مفتاحها ذيل ذلك التصنيف المطبوع .

ولكي تتم الفائدة انتخبنا لقاعة التآليف ما يقرب من ألف مجلد في مختلف العلوم لتكون المراجع الاولى للمؤلفين ، ووضعنا في القاعة نفسها خزانة نعرض فيها الكتب التي ترد حديثًا على الدار ، وأخرى نعرض فيها الاعداد الاخيرة من المجلات .

أما ترتيب الكتب في الخزائن فكان على المواضيع حسب التصنيف المطبوع ، ولكن هذا الترتيب طبق فقط على الكتب التي حوتها الدار حتى تاريخ التنظيم ، أما بعد هذا التاريخ فسترتب الكتب الواردة حسب طولها . وقد فصلنا في هذا الترتيب المجلات والكتب الدورية عن الكتب العادية ؛ وفصلنا عنها جميعًا الكتب الصغيرة التي لا يتجاوز عدد صفحاتها المائة .

أما ساعات العمل في قاعتي المطالعة المختلفتين فهي كما ياتي :

صباحًا : من الساعة ٩ إلى الساعة ١٢

مساءً : من الساعة ٣ إلى الساعة ٦

ويضاف الى ذلك ثلاث ساعات تبدأ بالساعة ٦ مساء نفتتح فيها قاعة التاليف فقط للمطالعين عامة دون التفريق بين المؤلفين منهم وغير المؤلفين ، وذلك ليطلع الجمهور على الكتب الموجودة في قاعة التاليف وعلى الفهارس التي تحويها .

وانا لنرجو أن تكون هذه التنظيمات الجديدة عونًا للمطالعين على الاستفادة من دار الكتب الظاهرية استفادة كاملة تامة .

يوسف العش

لتوسلوا الله باسم شكيب[1]

ان صغتَ شعراً فانحُ نحو حبيب　　　أو رمتَ نثراً فاحذُ حذو شكيبِ
هذا إذا غنّى سمعت بشعره الألحـ　　　ـان من شبّابة التشبيب
وشكيب يسمعك البيان وسحره　　　فيريك بالنفثات كلّ عجيب
سُرُح يخال من السلاسة سلسلا　　　من رقة الانشاء والأسلوب
وتراه إما مقنعاً بدليله　　　أو مُطمعاً بمنيعه المحجوب
فاذا القريبُ هو البعيد منالهُ　　　وإذا البعيدُ لديك جدّ قريب
ما شيبَ في مسبوكه بتنافر　　　أو عيبَ في محبوكه بغريب
طبع يصوغ من الكلام مهذباً　　　فيروع كل مهذب وأديب
والقول إن تصنعه غير مشذب　　　لم يجده متكلف التشذيب
روض البلاغة مجدب وبيانه　　　أبداً كروض بالحياة خصيب
وله من الشعر البليغ قلائد　　　تركت خليّ القلب أيّ طروب
كذوائب الديباج أو كسبائك الوهّـ　　　ـاج بهجة أعين وقلوب
لو شُبّ شعر من فصاحة قائل　　　لعجبتمُ من شعره المشبوبِ

* * *

---

(١) القصيدة التي افتتح بها كاتب سر المجمع الحفلة التي ألقى بها الامير شكيب محاضرته (نهضة العرب العلمية) وهي التي ستنشر في فاتحة العدد المقبل .

تخذ اليراعة في المعارك رمحه ... ليذود عن حق الحمى المغصوب

لا عيب فيه غير أن سنانه ... كلف بدق أضالع وتريب

ناضلت عن أحساب قومك نجدة ... لا قصد شكر أو جزاء مثيب

ورددت كيد عداتهم لنحورهم ... فافترّ ثغر الحق بعد قطوب

فالعرب أنت أميرهم ومجيرهم ... في كشف عادية ودفع كروب

جاهدت في توحيدهم ببراعة ... سحرت ومقول مدره وخطيب

وحملت في نصر العروبة حملة ... تركت عداة العرب في تتبيب

والدين منتهكا حميت حماه من ... أمم تعادي روحه وشعوب

فأنرت غامضه لجاهل كنهه ... حتى استجاب وكان غير مجيب

فالشرق حتى الصين كنت دليله ... للدين أو لصراطه الملحوب

والغرب [1] أنت نصيره إن نكبة ... حلت به وبسربه المنهوب

خاصمت في الإسلام كل مخاصم ... وجفوت في الاسلام كل مريب

لم يبق في شرق الديار وغربها ... من ليس يلهج باسمك المحبوب

لو كان يذكر في الأذان مناضل ... عن دينه أو قومه المحروب

ذكروك في الصلوات غير مدافع ... قبل الشروق علىً وبعد غروب

أو جاز أن يتوسلوا بسوى التقى ... لتوسلوا لله باسم شكيب !

---

(١) الغرب إن أطلق أريد به مقابل الشرق أو أوربة ، ونحن أردنا به المغرب وبلاده الإسلامية .

كلمة الاستاذ

محمد بهجة البيطار [1]

اشتهر الأمير شكيب أرسلان بكونه أشهر من كتب في السياسة والتاريخ والأدب ، وبكونه أمير البيان وكاتب الشرق ، فمثل هذا الضعيف لا يستطيع أن يفيه حقه من الوصف أو الثناء والاطراء . إن أمير البيان حفظه الله مجاهد بنفسه وماله ، وعلمه وقلمه ، ولسانه وقوة بيانه ؛ أما جهاده بالنفس والمال فحسبك أنه بذل نفسه وماله في سبيل الله فاشترك في الدفاع عن طرابلس الغرب وبرقة ، ولم يزل ينفق من ماله في سبيل المصالح العامة بسخاء ، وأما جهاده بعلمه وقلمه فقد ملأ صحف الدنيا دفاعاً عن الإسلام والعروبة ، وانك لتقرأ لأمير البيان في اليوم الواحد عشرات المقالات في صحف آسية وإفريقية وأوربة ، عدا ما ينشره من مصنفاته التي هي أغلى من الدر ، فمنها كتاب الحلل السندسية ، وهو المعلمة الأندلسية الكبرى ، ومنها حواشيه على كتاب حاضر العالم الإسلامي ، وهي التي سارت بذكرها الركبان ، ومنها حواشيه على تاريخ الإمام عبد الرحمن بن خلدون وغيرها وكل واحد من هذه الكتب يقع في مجلدات .

وأما جهاده بلسانه وقوة بيانه فبما يصدع به من الحق ، وبما يملأ به مجالسه من علم وأدب ، وبما يلقيه من الخطب والمحاضرات في المنتديات والمجامع والمحافل

---

(١) التي ختم بها محاضرة الأمير .

في الشرق والغرب ، ومن أعلاها هذه المحاضرة التي شنف بها أسماعنا في ردهة مجمعنا العلمي ، فقد وصف لنا بها نهضة العرب في هذه الحقبة الأخيرة وصفاً جامعاً بالغاً .

أقام أمير البيان في بلاد أوربا أكثر من عشرين عاماً يجاهد في سبيل أمته بكل ما أوتي من قوة ، ويمثل في الأصقاع الغربية علوم الشرق وآدابهم وأخلاقهم ، وليت فئة الشبان المتفرنجين الذين يذهبون إلى بلاد الغرب يحذون حذو الامير في أدبه وخلقه وعفته ، ليكونوا شرقيين بأخلاقهم ، وغربيين بمعارفهم الحديثة المفيدة ، وليت الامة تحتج على الذي ترسله ليمثلها خلقاً وأدباً ، ويتعلم علماً ينفع به أمته ، فيخيّب رجاءها فيه ـ ليتها تحتج الى صحف الغرب وأولي الشأن فيهم لينصفوها منه ، واذا باء بالخيبة والاخفاق فمن حق الجامعة التي لم ينجح فيها أن تحتج لدى الشرق بأن هذا لا يمثلهم في جدهم ، ولا في معارفهم وصناعاتهم فيخسر هذا المسكين أدب أجداده وبلاده ، ومعارف الامة التي شدّ رحله اليها فيصح فيه قول القائل :

لا إلى هؤلاء ان نسبوه وجدوه ، ولا الى هؤلاء

هذا وانا لنرجو من أمير البيان ، ان يعتزم الإقامة في وطنه ، فإنا لنغتبط به ونفخر بمقامه في ديار الشام ، اكثر الله من أمثاله في العلماء الاعلام والمجاهدين الكرام .

محمد بهجة البيطار





آراء وأخبار



حفلة افتتاح

دار الكتب الظاهرية بعد تنظيمها

بعد عودة السيد يوسف العش محافظ دار الكتب الظاهرية من ديار الغرب واختصاصه بتنظيم دور الكتب ، لبث في الظاهرية مدة سنة ونصف يعمل على وضع الفهارس العامة وعلى تنسيقها ، وبعد أن أكمل عمله هذا أراد التفرغ لتصنيف الكتب وفق هذه الترتيبات الحديثة ، فأذنت له وزارة المعارف باقفال دار الكتب ريثما يتم عمله هذا على هدوء وفراغ بال ، فجد لتحقيق ذلك الى أن أكمل التنظيم المنشود الذي يسهل على المطالعين والمؤلفين أمر الرجوع الى الاسفار المحجوبة في خزائن الظاهرية ، وعلى أثر ذلك أعدت هذه الحفلة لاعلام الناس باستئناف فتح الظاهرية وإرشادهم الى طريقة المراجعة الحديثة ؛ وفي يوم الجمعة الواقع في ١٧ ايلول ١٩٣٧ فتحت الظاهرية أبوابها للمدعوين الى الحفلة التي كانت ملحوظة برعاية وزير المعارف ، وافتتحت هذه الحفلة بكلمة محافظ دار الكتب مبيناً بها الترتيبات الحديثة التي أدخلت عليها وشفعها بكلمة أخرى موضوعها « تطور دور الكتب العربية[١] » ثم قام على أثره الاستاذ محمد بهجة البيطار عضو المجمع العلمي فألقى كلمة ممتعة في الجمع بين الثقافتين القديمة والحديثة

(١) نشرت في باب المقالات من هذا الجزء .

وهما ممثلتان في الظاهرية بما فيها من الكتب القديمة الصفراء والحديثة البيضاء ،
وبعد ذلك ألقى كاتب سر المجمع العلمي كلمة موضوعها (أثر المجمع العلمي في
إنشاء دور الكتب والآثار في الديار الشامية) ثم ألقى على أثره نائب دمشق
السيد فخري البارودي كلمته الطيبة في خطورة دور الكتب العامة وأثرها في
الثقافة ، وبعده نهض أمير البيان وعضو المجمع العلمي العربي الامير شكيب
أرسلان وألقى كلمة مسهبة بين بها ما كان للعرب في إبان نهضتهم من آثار
مباركة في إنشاء دور الكتب ونشر العلم وترقية العلوم وضرب لذلك أمثالا
واضحة تؤيد أقواله . وكان مسك الختام كلمة مرتجلة لوزير معارفنا العالم
الطبيب عبد الرحمن الكيالي أفاض فيها في بيان إهمال الناس لما ورثوه عن
آبائهم من الكتب المخطوطة النادرة وتركها للعث والغبار ، وحث الناس مبيناً
أن أجمل وسيلة لحفظ تراث أجدادهم أن يهدوها الى دور الكتب العامة الحريصة
على صيانتها ونشر ما تشتمل عليه من الفوائد على الناس .

وبعد أن أتم كلمته البليغة دعا محافظ الظاهرية المدعوين الى مشاهدة التنظيمات
الحديثة وطريقة الانتفاع بها ، فسر الناس بما شاهدوه من الاتقان والاحسان ،
وعادت ثاني يوم دار الكتب الى سابق عهدها بحلتها الجديدة المفيدة .

* * *

محاضرة الامير شكيب ارسلان

في الساعة الرابعة من مساء الثلاثاء الواقع في ٣٠ رجب ١٣٥٦ (٤ تشرين
الاول ١٩٣٧) ألقى الامير شكيب أرسلان عضو مجمعنا العلمي في صحن دار
المجمع محاضرة ممتعة في نهضة العرب العلمية في القرن الاخير ، وكان الجمهور
كبيراً فغصت الدار بالمستمعين ، وسننشر هذه المحاضرة الجامعة في فاتحة الجزء
الحادي عشر من هذه المجلة .

وفي الأجل المضروب لالقاء المحاضرة تقدم كاتب سر المجمع الامير المحاضر

للجمهور ، وأنشد قصيدة له[1] في أمير البيان تصف مزايا نثره وشعره ، ومبلغ جهاد الامير في خدمة العروبة والاسلام نشرناها في هـذا الجزء ، وبعد ذلك شرع الامير في تلاوة محاضرته التي استغرقت نحو ساعتين ، وعلى أثره نهض العلامة الشيخ محمد بهجة البيطار وختم هذه الحفلة المباركة بكلمة طيبة ارتجلها في بيان مزايا الامير المحاضر كانت مسك الختام .

* * *

اللغة العربية
في محطات الاذاعة البريطانية

جاء في الانباء اللاسلكية أن وزير المالية البريطانية السر جون سيمون أدلى في مجلس العموم ببيان مطول يستفاد منه أن محطات الاذاعة اللاسلكية البريطانية ستذيع أيضاً برامجها باللغات العربية والاسبانية والبرتغالية .

* * *

اللغة العربية في عصبة الامم

من نوّاب الامم من يكسب امته مجداً وفخاراً ، مثل السيد علي باشا الشمسي مندوب مصر الدائم في عصبة الامم فقد تبوأ مقعده أخيراً في اللجنة السادسة وسعى فيها لجعل اللغة العربية لغة رسمية لنشر آثار لجنة التعاون الفكري ، وما كانت من قبل تنشر الا باللغتين الفرنسية والانكليزية ، بيد أن السيد الشمسي قد توفق في جداله مع اللجنة واستدلاله على وجوب نشر هـذه الاثار الجليلة باللغة العربية فأكسبها هذا الشرف اللغوي الذي امتازت العربية به امتياز الفرنسية والانكليزية على سائر لغات النشر ، فالامة العربية من مصرية وغير مصرية تشكر النائب النبيل الجليل على نبيل رأيه وجليل مسعاه ، واللغة العربية المبينة تبتهل الى الله في أن يكثر أمثاله من حماتها وأن يبارك لها في حياته .

(١) يراها القارئ منشورة في هذا الجزء مع كلمة الاستاذ البيطار .

بحر العوّام

فيما أصاب فيه العوام

نشر المجمع العلمي هذه الرسالة اللغوية النادرة لمؤلفها عالم الشام في عصره الشيخ محمد بن ابراهيم المعروف بابن الحنبلي الحلبي ، وقد جاء في الصفحة ١٠٧ منها ما نصه : (نرجو ممن يعثر من العلماء في حلب أو غيرها على نسخة أخرى من بحر العوام أن يتفضل بانباء المجمع بذلك) وقد أخبرنا العلامة الامير شكيب أرسلان أنه كان قد سمع لاول مرة باسم هذه الرسالة من الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد ثم عثر عليها في خزانة كتب السيد عبد الخالق السادات الوفائية بمصر ، وكان قبل ذلك قد سأل الاب أنستاس الكرملي عنها ، فالهذه الرسالة اذن شقيقة في الخزائن الوفائية ، ثم علمنا بوجود شقيقتين أخريين في الخزانتين الزكية والتيمورية ، فاجتمع لنا بذلك أربع شقائق .

وامير البيان يعتقد أنا في حاجة ماسة الى نشر مثل هذه الكتب التي تربط لغة الخلف بلغة السلف ، وان غير الفصحى أو اللغة المبينة من اللغيات لا يعد خطأ ، أقول : وقد كان العرب الفصحاء يتكلمون في الجاهلية وصدر الاسلام بهما ، وما القراآت السبع أو السبعة الاحرف الا لهجات صحيحات أجاز النبي (ص) القراءة بها تسهيلا لنشر القرآن وتوسيعاً لنطاق البيان . هذا وان بقاء اللغيات على الالسنة الى يوم العرب هذا ، وهي ترجع الى قبائل عربية عريقة في الفصاحة ، لدليل مبين على نزول هذه القبائل في الاقطار التي يلهج أبناؤها بها ، فما كان صحيحاً فصيحاً منها حافظنا عليه ، وما كان غير ذلك طرحناه ولم نلتفت اليه ، مع أنا في استعمالنا للفصيح الصحيح من لغة العامة نكون قد قربنا بين لغتي الكتاب والخطاب ، فسهلنا لغتنا العربية على الابناء والغرباء ، وليس من المعقول والمقبول في شيء أن نهمل ألفاظ لغتنا وهي صحيحة ومأنوسة مستعملة ، ونبحث عن الفاظ غريبة ومهجورة مهملة .

مطبوعات حديثة

كتاب في الشطرنج ومنصوباته وملحه

لمؤلف مجهول اسمه

قد اعتنى بطبعه وتصحيحه نقلاً عن نسخة وحيدة محفوظة في المتحف البريطاني

الأب فيلكس باريخا اليسوعي

طبع في مدينة مجريط بالاندلس سنة ١٩٣٥ م

قطع هذا الكتاب وسط ، وصفحاته خمسون ومئتان ، وفي خاتمته انه تم سنة خمس وخمسين وستمائة هجرية ، وهو مفتتح بمقدمة ضافية قد استغرقت منه تسع عشرة صفحة في حكم الشطرنج وحكمته وسبب وضعه وتعريف طبقات حذاقه والتفاوت في القيمة بين منصوباته ككون بيذقين خيراً من فيل ، والفرق بينه وبين النرد حكما وحكمة وفي المعاني الخطيرة التي يرمز بهما اليها من عقائد دينية وقواعد حربية ونواميس كونية ، وفي المقدمة من الشعر تسعة عشر بيتاً للأخطل وأبي تمام وابن أبي البغل وغيرهم في النرد والشطرنج ، كما في خاتمة الكتاب واحداً وعشرين بيتاً من الشعر الذي يكثر استشهاد أدباء الشطرنجيين به لموافقة معانيه لكثير من الاحوال التي قلما يخلو دست الشطرنج منها كقوله عند ضرورة المخاطرة :

لم يبق من طلب العلا　　إلا التعرضِ للحتوفِ

وقول المتحير الذي خفي عليه وجه الصواب وضل طريق الظفر بقاء كثير من منصوباته :

سيوف لعمري يا لؤيّ بن غالب   حدادٌ ولكن أين بالسيف ضاربُ

وبين المقدمة والخاتمة خمس عشرة ومئتان من صور رقعة الشطرنج مع بعض منصوباتها كأنها بين لاعبيها وقد وصلا الى حيث يتوقع كلاهما أو أحدهما أن تقع الواقعة وتكون القاضية وجهرتها متوجة بعناوين ترشد الى عاقبة الامر فيها بتسمية غالبها ومغلوبها .

والمؤلف يتبع كل صورة منها بفصل طويل تارة ويقصر طوراً حتى ينتهي بالقول الفصل على رأيه في التصرف بمنصوباتها للوصول الى ما تقتضيه أوضاعها من العواقب فيظهر على وقف العنوان من هو المغلوب ومن هو الغالب .

ومن قواعد الشطرنج في هذا الكتاب مما ليس بمتداول في هذا العهد ولا معروف أن فيله يمشي على مدى قطر ثلاث مربعات متصلات الاقطار فلا يتخطاها ولا يتقاصر عنها وان فرزانه لا يتجاوز مشياً وأكلا بيتاً واحداً على شرط ان يكون مما يلي مقره عن طريق الزاوية فلا يستطيع اختراق الاضلاع ولا سلطة له على ما يليها .

لغة الكتاب كأكثر الكتب العربية المؤلفة في ذلك القرن السابع للهجرة لم تسلم من تكلف السجع في صدر المقدمة ولم تبرأ من ألفاظ عامية مبتذلة كانفسد وانصلح وايش ما لعب راجع الصفحات ١٧ و١٥٣ و ١٦٤، على ان الكتاب يمتاز بقوة الحجة وسلطان المنطق في حسن التعليل الصادع بتحريم النرد ، كما يمتاز بذكر كثير من النصوص الواردة في شأن الشطرنج عن أعيان الثقات من كبار علماء الصحابة والتابعين والائمة . ومن مزايا الكتاب أنه جمع مما قيل في الشطرنج ما تفرق من الكتب المؤلفة قبله كمروج الذهب للمسعودي وكالفهرست لابن النديم وكلاهما من نخبة آثار القرن الرابع للهجرة ، ومن مزاياه بيان قواعد وأسرار شطرنجية خطيرة حفظها بعد أن ضاعت وكادت .

والاستاذ المستشرق المفضال الذي عني بتصحيح هذا الكتاب وطبعه أتبعه بكتابين ألفهما بلغته الافرنجية في موضوع الشطرنج أعاد فيهما ما في الكتاب العربي من الصور الشطرنجية وهما يشتملان على أكثر من خمسمائة صفحة ، وقد نشر في ثانيهما صوراً شمسية لثلاث صفحات من المخطوط العربي المحفوظ في المتحف البريطاني ولم ينشرها في المطبوع العربي الذي هو أحق بها ، فعساه اذا أعاد طبعه ان ينشرها فيه ليكون قد جمع بين الاصل وفرعه ووضع مع الولد نموذج أمه ، على أن صفحة الكتاب الاولى الشمسية تشتمل على بيان مصطلحات شطرنجية تختص بالكتاب نفسه وهو خال منها لانها مكتوبة بقلم غير المؤلف ممن ملكوا ذلك الكتاب كما يظهر في توقيعه وطابع خاتمه هنالك على ظهر تلك الصفحة الاولى .

هذا ولا ريب في أن الاستاذ المستشرق المفضال عانى في الاعتناء بتصحيحه جهداً جاهدا ، يرى له مطالع الكتاب في كل صفحة منه شاهداً يدل على انه وفاها حقها من أعمال الفكر وانعام النظر تصريحاً بصحة أو تصحيحاً لخطأ أو استفهاماً عن مبهم او احالة على بحث له علاقة بما في تلك الصفحة ، فما من تصحيف او تحريف او سهو في الكتاب الا وتجد إشارة عليه بقلم ذلك الاستاذ الذي عني بتصحيحه اللهم الا القليل النادر كما في الصفحة السادسة والعشرين تحت صورة الرقعة الشطرنجية الثامنة حيث وقعت كلمة الشاه مكان كلمة الفرزان وفاته ان يشير اليها ، اما حسنات تصحيحه فانها تجعل مريد احصائها مبهوراً ، فشكراً له من ذي همة سمت به الى احياء هذا الكتاب الثمين بعد ان ظل ككنز دفين مئات من السنين .

عبد القادر المبارك

المحجة البيضاء

في صحة نعت الجموع بفعلاء

الجزء الثاني من البرهان الجلي على علم الكرملي لأمين خير الله

صفحاته ٨٤٤ مطبعة الترقي بدمشق ١٣٥٦ — ١٩٣٧

تختلف أنظار اللغويين اختلافاً بيناً في ناحيتين واضحتين : ناحية التشدد وناحية التساهل ، والغالب أن يكون المتشددون المتزمتون ضيقي دائرة المعرفة ، محرومين من رحابة الفكر والصدر ، فيهيجون لكل ما يرونه مخالفاً لمعرفتهم ، وكثيراً ما يؤيد ما خالفوه أو هاجوا من أجله علماء في اللغة وأئمة في النحو والبيان كما يغلب أن يكون المتساهلون أوسع اطلاعاً وأطول في البيان باعاً ، فيجرون على سلائقهم العربية وسجيتهم العلمية في الاشتقاق والتعريب وتسهيل دراسة العربية وتذليل أساليب البيان .

فمن فريق المتشددين الامام الكسائي وأبو هلال العسكري والحريري صاحب (درة الغواص في أوهام الخواص) ، والجواليقي صاحب (تكملة اصلاح ما تغلط فيه العامة) [1] وهاشم بن أحمد الحلبي مؤلف (اللحن الخفي) وابن بالي السبني وأبو بكر الاشبيلي وأمثالهم ، ومن الفريق الثاني المتساهل فيما لا يمس جوهر العربية ولا أساليب بيان العرب : الإمام الخفاجي فيما كتبه على درة الغواص ، ومحمد بن ابراهيم المعروف بابن الحنبلي الحلبي مؤلف كتاب (بحر العوّام فيما أصاب به العوام) والامام الزمخشري الذي يرى الاستشهاد بكلام

(١) نشره المجمع العلمي العربي مع كتاب بحر العوام مع تعليقات وتحقيقات لغوية .

فحول الشعراء وكبار الادباء والمحدثين من رواة اللغة ، ولذلك استشهد بالكثير من شعر المحدثين وهو على حق في ذلك ، لأنه ممن بلغ بهم توسعهم في العربية وتحققهم ببيانها مرتبة الاجتهاد ، ومثله في التساهل الامام محمد بن مالك فانه يرى الاستشهاد بالحديث مخالفاً للمتشددين الذين يمنعون ذلك بدون حق ولا هدًى ولا كتاب مبين .

ونحن الآن في الكلام على كتاب (المحجة البيضاء) أمام متشدد ومتساهل ، والمتشدد هو الاب أنستاس الكرملي المعروف بأبحاثه في الالفاظ اللغوية وإرجاع بعضها الى اللغات السامية أو الاغريقية القديمة ، وقد رأى فيما اطلع عليه من كتب البلغاء ، أنه لا يصح نعت الجموع بفعلاء ، فلا يجوز لعربي أن يقول : كريات بيضاء ، ولا رياض فيحاء ، ولا صحف أو جرائد غراء ، بل يجب عليه أن يقول : كريات بيض ورياض فيح وجرائد غر ، وأما المتساهل في ذلك فهو الشيخ أمين ظاهر خير الله الشويري ، متابعاً كما يقول « للفصحاء الموثوق بصحة السنتهم الذين يحتج بأقوالهم » .

وليس من معاب على من احتذى حذوهم وفي كلامهم الكثير من ذلك الاسلوب الذي يأباه المانعون ، وقد استشهد لتأييد ما ذهب اليه بعشرين حجة وردت في كتب العرب مثل : الحمر الخشباء والكلم العوراء والهضاب الملساء والقبعة البيضاء والكتيبة الشهباء والعرب العرباء واخواتها من الحجج العشرين التي يرى القارئ تفصيلها في هذا الكتاب .

أما الحمر الخشباء فيقول الكرملي في تجويزها ان الخشباء منقولة الى الاسمية كما نقلوا الخضراء والسمراء والزرقاء ، ويقول الشويري انها صفة على ما يطرد في باب أفعل ، والحمر جمع حمار فجاز نعتها بفعلاء ، واذا كانت الحمر جمع تكسير وبمعنى جماعة جاز نعتها بخشباء على المعنى ، أما كون الخشباء منقولة الى الاسمية فصحيح لانها تجمع على أخاشب ، وما ذهب اليه الشويري صحيح لا غبار عليه لقوله تعالى في سورة الشعراء :

« ان هؤلاء لشرذمة قليلون » ، وقد استشهد بهذه الآية الاب الكرملي وقال ما نصه :

« فقد وصفها بالجمع لان مدلولها مجموع ويجوز كذلك أن تقول : شرذمة قليلة لان لفظها مفرد مؤنث » . ويرى الاستاذ الشويري وفي قوله هذا حجة له ، لان شرذمة لفظها مفرد ومعناها جمع ، والقرآن قد اختار المعنى على اللفظ فجاء (قليلون) نعتاً لشرذمة ولو اختار اللفظ لقال قليلة ، فعلى هذا يكون ما ذهب الشويري اليه صحيحاً من قوله (هضاب ملساء) ، لان معنى هضاب جمع ، وكل جمع مؤنث ، وكل مؤنث ينعت بالافراد ، فهضاب ملساء ومثلها قبعة بيضاء وكتيبة شهباء .

اما الاب انستاس فيقول :

هنالك فرق بين الجمع وبين اسم الجمع وشبهه ، فلو أتانا بشاهد مثل نساء سمراء لقلنا له أصبت ، لكنه جاء بألفاظ تحتمل الافراد والجمع فلم يفدنا الفائدة التي كنا نتوقعها .

والخلاصة ان المتشددين لا يقولون كالامام المبرد الا ثياب سود وخيل دُهم ، والمتساهلون كالاستاذ الشويري وكثير من كتاب العصر في يومنا هذا على ذلك لا يرون بأساً في نعت الجموع بفعلاء لا فرق بين الجموع وأسمائها وأشباهها ، ولعل كثرة الاستعمال في نظرهم مما يجعلها فصيحة فقد قال أئمة المعاني والبيان (حيث ذكر أهل اللغة الفصاحة فمرادهم بها كثرة الاستعمال) .

وأختم كلمتي هذه بنصيحة أسديها للشيخ أمين ظاهر خير الله الشويري : أن يكف عن مجادلة الاب انستاس ومناظرته فانه يعتقد انه لم يناظر أحدا من علماء اللغة الا قتله (كما جاء في آخر المناظرة اللغوية الادبية ص ٩٤) وهي التي دارت رحاها بين الاساتذة المغربي والبستاني والكرملي ، ونشرتها في هذه الآونة مكتبة القدسي ، إذ يقول ناشر المناظرة : « بلغني ان الاب الكرملي إذا ذكر الاستاذ البستاني يترحم عليه ويقول : ان من

غرائب الاتفاق أن تدرك الاستاذ منيته عقب مناظرتي اياه بمدة يسيرة ، وكأنه رحمه الله انما مات متأثراً من صدمة الرد ، ومثله في ذلك الاساتذة جبر ضومط والاب منش الحلبي وأسعد خليل داغر ، فقد مات كل واحد منهم بعد مناظرتي إياه متأثرين بقوة الحجة ومفحم البرهان . »

« التنوخي »

* * *

مناظرة لغوية ادبية

بين الاساتذة

عبد الله البستاني عبد القادر المغربي أنستاس الكرملي

في ٩٦ صفحة من القطع الوسط

للشاب الاديب السيد حسام الدين القدسي همم مشكورة في طبع الكتب النافعة قديمها وحديثها ، وآخر ما أتحف المكتبة العربية به ، طبعه هذه الرسالة طبعاً نظيفاً على ورق صقيل .

ولا بد من كلمة تمهيدية يعرف بها القارئ الظرف الذي نشرت فيه هذه المناظرات ، فقد أعاد الناشر إلى الذهن ذكر معركة حامية قامت منذ ستة عشر عاماً بين الاساتذة المذكورين .

كان المجمع العلمي العربي إذ ذاك في أول نشأته وعنفوان نشاطه ، وكان قــد أحدث في الشام اهتماماً خاصاً باللغة العربية وجلب اليها الأنظار بما نشر من بحوث مفيدة يحاضر فيها أعضاؤه ، ومقالات نافعة تعلم الناس وتقوّم من ألسنتهم ما فيها من عوج ؛ كان المجمع يومئذ معقد الامال ومطمح الانظار ومحط العناية من مختلف الطبقات الشعبية والحكومية ، فاستطاع أن يرفع مستوى اللغة العربية والتاريخ القومي في البلاد وعجل نضج الحركة الفكرية

فيها . وكان الادباء والعلماء الذين اشرأبت أعناقهم وتطلعت نفوسهم ليحوزوا شرف العضوية فيه عدداً غير قليل . ولقي المجمع من هذا النفر عنتاً : لانهم لما أخفقوا ناصبوه العداء ، فشرعوا أقلامهم وأطالوا ألسنتهم في نقد ما يضع من مصطلحات أو يصلح من غلطات ، نقداً كان نصيب الغرض فيه أوفى من نصيب الحق .

من هؤلاء النفر : الشيخ عبد الله البستاني الذي تشغل مقالاته الاربع في نقد (عثرات الاقلام) التي نشرها المجمع ثلثي الرسالة ، والذي قال فيه الاستاذ المغربي : « أراد أن يهدم بناء مقالاتنا (عثرات الأقلام) ويتخذ من أنقاضها سلالم يرتقي عليها الى قمة الشهرة واحتكار البراعة في اللغة العربية »[1] نقد الاستاذ البستاني في مقالته الاولى كلمات وردت في نشرة للمجمع وهذه هي (حبّذ يحبذ ، واطن يواطن ، رجل بكل معنى الكلمة ، داخل يداخل ، حايد ، تأكد ، انتزه ، عناين) وقد تكلف لنقده هذا غاية التكلف ، حتى كان التعقيد والتقعير يشينان أكثر المقال ، وكان في حظره استعمال أكثر تلك الكلمات قد حجّر واسعاً ، الا أنه كان عفيف اللسان ، لم يتعرض لشخص معين بسوء ، وكان الى جانب الادب أقرب منه الى جانب الحق .

ومقالته الثانية رد بها على الشيخ المغربي الذي كان نقده لاذعاً[2] وهي تشهد بأن البستاني غير عاجز في ميدان الرد بل هو من فرسانه المجلين .

لكنه يبدو في رده على الكرملي صائلا سليط اللسان لاذع التبكيت ، يبسط من كلامه ما لا يجمل ، فهو يقول له ص ٧٨ « يا محترم ، من أعظم البلايا أن تكون لي مناظراً » ويقول ص ٧٩ « ومن العجب أنك تتولى القضاء ، وانت لا تدري أين تضع الباء » و « لم تحرز من آداب اللغة الا شيئاً يسيراً لا تستدر منه جدوى ولا يسهل عليك تأليف عبارة خالية من حزازة فتلمس كتاباً واضح التعبير وتخرج به على اديب .. وتدرب في آداب البحث وتبصر في كل ما تتلقنه الخ ... »

(١) ص ١٧ (٢) ص ١٨ فما بعد .

والذي يخلص به القاريء من مقالاته : الاعتقاد بسعة اطلاعه وتمكنه من علوم اللغة ، وبرشاقة اسلوبه ما لم يتكلف ، فاذا فعل فهناك ما شئت من غموض او - على رأي الاستاذ المغربي - من مماظلة وعسلطة .

بقي شيء واحد يؤخذ على الاستاذ المغربي وهو ان مذهبه في الالفاظ الدخيلة والعامية مذهب الاباحيين لا يحظر منها شيئاً ، قال حاكياً رأي اعضاء المجمع ثم رأيه الخاص فيها : « فهم[1] يرفضون قبول كل كلمة اعجمية ويبحثون عن اخرى سواها من اللغة العربية يقوم مقامها ، حتى اذا لم يجدوا قبلوا الاعجمية بعد إفراغها في القوالب العربية . هـذا رأي رفاقي ورأي الكثيرين . اما رايي في أمثال تلك الكلمات فهو غير رأيهم : لاني لا ارى مانعاً يمنع من استعمال المعرب او الدخيل اذا شاع ...

وقد اطلعت منذ ايام على كتاب معرب بقلم كاتب من اشهر كتاب مصر فرايت فيه كلمات وتراكيب دخيلة ما كنت احسب ان يجري بها قلمه ، وقد اراد اعضاء مجمعنا ان يعدوها من عثرات قلمه وينبهوا اليها ، لكني ضننت بها عن هذا الموقف وخبأتها للاستشهاد بها على صحة رايي وهو وجوب التسامح في الكلمات الدخيلة » .

والذي نستغربه من مثل الاستاذ المغربي ان ينكر على البستاني تصحيحه أخطاء وردت في معجم (اقرب الموارد) وهو ما كان حقيقاً ان يحمده عليه غاية الحمد ، فليس على الارض اشنع من غلط في معجم ، وهو اذا وجد زلة من كاتب معروف يجعل زلته مذهباً في الصواب جديداً يجب اعتماده في اللغة كأن قائله امرؤ القيس او علي بن ابي طالب ، وهو تساهل في الاستاذ مشهور والامانة تقضي عليه ان يقول للمخطيء اخطأت ، ولو سار الناس على مذهبه لكان لنا في كل عشرين سنة لغة جديدة ، ونحمد الله على ان الناس في هذه النهضة ماضون قدماً في احياء لغتنا الكريمة ونقض ما عاق بها من دخيل

---

(١) ص ٢١

مرذول او عامي ساقط ، شأن كل الامم الحية ذوات الكرامة والعزة ، بل ان كثيراً ليبالغون فيفضلون الاصطلاح القديم المهجور على العربي المحدث في زماننا مهما كان الاول ثقيلا والثاني رشيقاً .

واما الاب الكرملي فقد عاب على البستاني تشدداته ، فاستعرض كل ما قال المتناظران ، فصوّب من كلامهما ما صوّب وردّ ما وجده خليقاً بالرد .

ثم ختم الناشر الرسالة بكلمة عادلة لامير البيان شكيب ارسلان قال فيها : (لكل من استاذنا البستاني والاستاذ المغربي والاب الكرملي وجهة فيما يقول ، وهذه مسائل قيل فيها الشيء وعكسه كثيراً ، وما اوسع ابواب العربية لمن عرفها .) واظن ان هذا قول فصل في اكثر المناظرات اللغوية .

* * *

قيمة هذه المناظرة والبحوث التي دارت فيها تاريخية : اذ انها تطلعنا على ما كان يشتغل به بعض اللغويين قبل ستة عشر عاماً ، وترينا كيف كانوا يتبادلون النظر ، والا فالجدوى التي يخرج بها القارئ اليوم من تلاوة الرسالة ضئيلة جداً اذا اهملنا النظرة التاريخية .

سعيد الافغاني

* * *

الحياة الزراعية

مجلة زراعية اقتصادية مصورة

رئيس تحريرها : المهندس الزراعي **طلعت الخربوطلي**

سنتها عشرة اعداد موقتاً — مطبعة الترقي بدمشق

وصل الينا الجزء الثاني من هذه المجلة الزراعية المفيدة التي تصدرها الجمعية الزراعية السورية التي تألفت في دمشق سنة ١٣٥٦ للهجرة (١٩٣٧ م) ويرصد ريعها للجمعية ، وقد ظهرت هذه المجلة في زمن تشتد حاجة البلاد الشامية فيه